

دراسة في
تأثير ألف ليلة وليلة
في الأدب الغربي

تأليف

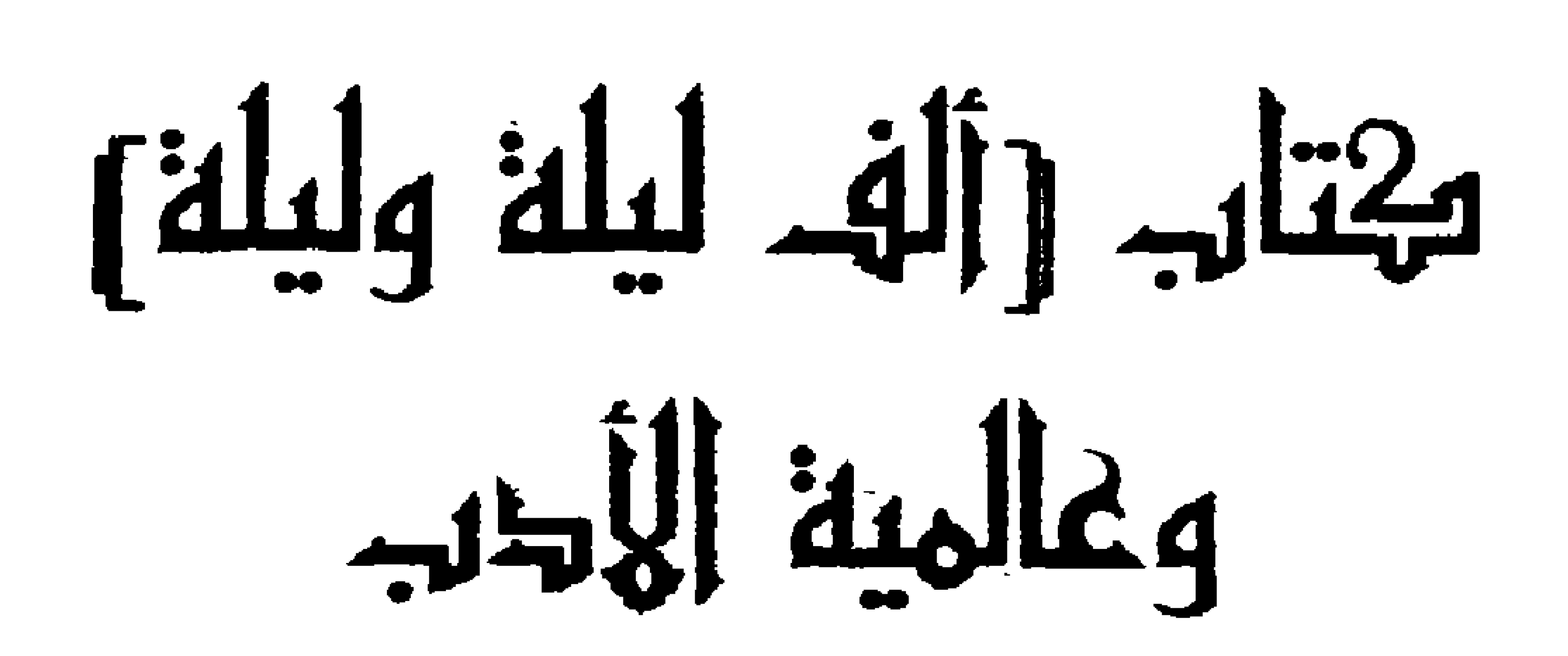
دكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي
الأستاذ بجامعة عين شمس

١٩٩٤

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ مصطفى الصاوى الجوينى

الاسكندرية



دراسة في
تأثير ألف ليلة وليلة
في الأدب الغربي

تأليف

دكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي
الأستاذ بجامعة عين شمس

١٩٩٤

مقدمة

كتاب «ألف ليلة وليلة» هو عنوان أشهر مجموعة عربية للقصص الشرقى أخذ العرب معظم مادة قصصها عن غيرهم، أمثال الفرس والهنود؛ ففيه العناصر الشرقية الأصل، إلى جانب العناصر العربية الخالصة، ويحتل مكانة ممتازة في الآداب والفنون التى أنتجها الفكر الإنسانى والروح البشرية ويعد بحق فصلاً مشهوداً من تاريخ الحضارة الشرقية عامة.

ولا نستطيع أن نعتبر كتاب «ألف ليلة وليلة» عملاً روائياً بالمفهوم الفني الحديث بل هو مجموعة من القصص التي تربط بينها خيط، أى أنها أحداث منفردة كل واحدة منها تنتهى عند نقطة معينة لتبدأ حكاية أخرى بهدف التسلية. وهى طريقة هندية.

ورغم قدَم هذا الكتاب فإنه لا يزال يحتل مكانة سامية؛ لا لأنه مخزن الحكايات الغرامية أو القصص الواقعية أو الخالية فحسب، بل لأجل مزاياه الأخرى؛ فنال القبول العام بين الكتل البشرية واستأنست به الإنسانية حتى افتخرت به. وما ذلك إلاّ أن حكاياته تعبّر عن التصوّر الرائع والغرام الساحر مع ما لهما من صور حقائق الحياة الإنسانية. إن القيمة العالمية لألف ليلة وليلة أنه كان ولا يزال كتاباً فريداً لما حواه من سعة الخيال، وأنه يكشف عن

جوانب مهمة من تاريخ الحضارة العربية واللغة العربية.

وأود أن أشير إلى أن هذا الكتاب المحرر باللغة العربية ليس نتاج شعب بمفرده، بل أسهمت فيه شعوب عديدة، فأصله هندي فارسي، ثم تلقفته أيدى العرب وصبغوه بصبغتهم، وأضافوا إليه من عندهم .

وأخيراً انتقل إلى الغرب واقبلوا عليه بالدراسة والتنظيم والترجمة إلى أن وصل إلى هذه الصورة الفريدة الجميلة.

إذن لا فضل لشعب دون آخر في كتاب «ألف ليلة وليلة»، فالشعوب جميعها اشتركت فيه حتى أصبح تراثا عالمياً بمعنى الكلمة.

كلمة عن التأثير الشرقى فى الآداب لغربية

كان الشرق يتمثل في أخلاد الأوروبيين - إلى عصر حديث جداً - على أنه مهد المدنيات، ومهبط الوحى، ومقر الملوك العظماء والفلاسفة والحكماء، والدول ذات الغنى الباذخ. وكان يروعهم من أمره ما يسمعون عن طائل كنوزه، وفاخر حاصلاته، وغرابة أزيائه واختلاف أناسه. وعلى هذ النحو الرومانسي الرائع صوّروه فى آدابهم.

وكان الأوروبيون يتحدثون عن جاذبية الشرق، ويلتفون حول أولئك الأشخاص الذين كان حظهم زيارته، والإصغاء إلى مشاهداتهم، وما رأوه من غرائب الأشياء.

وكان نابليون بونارت - علي سبيل المثال - من أكثر الناس تأثرا بهذه الجاذبية، ومن ثم كان يحلم بتشييد إمبراطورية تحاكى إمبراطوريات الإسكندر المقدوني وهارون الرشيد وتيمور لنك، ويكون فى بطولة خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبى وشجاعتهما. وأخيراً كانوا يتحدثون عن «الشرق الذي لا يتغير»، حيث كانوا يظنون أن الشرق مهد المحافظة والبقاء على وتيرة واحدة لا تتبدّل.

وكانت أوروبا حتى القرن الثامن عشر الميلادى فى جهل عميق

بالأدب والفكر الشرقيين، ولكن بدأت صفحة جديدة في سنة ١٧٧٥م عندما نشر المستشرق الإنجليزى «وليم جونس (William Jones) (١٧٤٦ - ١٧٩٤ م) كتابه اللاتينى «تعليقات على الشعر الآسيوى»، وهو عبارة عن مختارات من الأدبين العربى والفارسى فى ست مجلدات، ونشره فى سنة ١٧٧٤م. وقد وصف السير وليم جونس عمله هذا بما يأتى: «...لا بوصف الكاتب مترجماً، بل شاعراً، ولا بوصفه فقيها لغوياً، بل رجلاً ذواقاً». وللمرة الأولى فتح وليم جونس الباب للمثقفين ولدوائر المشتغلين بالأدب الكلاسيكى في أوروبا ليتفهموا ويقدروا مزايا الشعر الشرقي (العربى الفارسى)، بعد أن ظلت معلومات الأوروبيين عن الشرق زمنا طويلاً ضئيلة جداً نتيجة القطيعة الحادة بين الشرق الإسلامى والغرب المسيحى، عقب انكسار الأخيرين فى الحروب الصليبية، وعقب استيلاء العثمانيين على منافذ البحار: الأسود والأبيض والأحمر. ولم تنقشع تلك القطيعة إلاّ فى الزمن الحديث بعد اتصال الشرق بالغرب؛ ذلك الاتصال الذى بدأ برحلات قام بها رحالة الغرب؛ منهم من كان يطلب العلم، ومنهم من كان ذا هدف سياسى أو دينى أو تبشيرى أو غير ذلك. وكثر خروج الأوروبيين إلى الشرق، وزاد الإتصال استحكاماً بالاستعمار ورقى وسائل المواصلات والمصالح المشتركة، وأصبح كثير من الأوروبيين يستوطنون الشرق ويقيمون فيه أبداً، منهم الشاعر الإنجليزي كوليردج المولود في الهند والكاتب الفرنسي بييرلوتى صديق

الشرق والمدافع عن الدولة العثمانية والمستشرق الإنجليزى إدوارد براون الذى دافع عن الدولة الإيرانية في أحلك فترات تاريخها من ظلم المستعمرين الإنجليز من بنى جلدته وغيرهم.

وهكذا نشأ أمام المفكرين الأوروبيين نوع من الأدب ظهر فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يعرف باسم «أدب الشرق» ووصلت بعض الآثار الأدبية الشرقية عن طريق بعض المؤلفات والترجمات، مثل «ألف ليلة وليلة» "Arabian Nrghts" ومؤلف جوته «الديوان الغربى الشرقى» 'Westöstliecher Diwan" ومؤلف ماثيو آرنولد المسمي «سهراب ورستم» "Sohrab and Rustom"، ورباعيات فيتز جيرالد.

وإذا تعرضنا لدور كتاب «ألف ليلة وليلة» فى الآداب الأوروبية نجد أنه كان له وقع حسن فى نفوس الأوروبيين، فكانت النتيجة أن حدث تحول فى مجارى ينابيع الأدب، حيث شكلت صورة الشرق وسحره الصورة الرومانتيكية عن الشرق، والتى لا يزال الكثير من كتّاب القصص والشعراء يستغلون هذه الصورة إلى يومنا هذا. ونذكر فيما يلى بعض فقرات من أقوال كبار الأدباء الغربيين حول تأثير ألف ليلة وليلة:

١ - ذكر فيكتور هيجو فى مقدمة ديوانه «الشرقيات» "Les Orientals"، ما يلى: «لقد كان العالم بأسره إغريقياً، أما اليوم فهو شرقى».

٢ - اعترف ڤولتيير بأنه لم يصبح قصصياً إلاّ بعد أن قرأ « ألف ليلة وليلة » أربع عشرة مرة.

٣ - سجل السير وليم جونس مترجم المعلقات وكتاب « تعليقات عن الشعر الآسيوي »، قولاً مأثوراً هذا نصه: « إن شعرنا الأوروبى قد طال به الركود، فلابد من صُوَرٍ جديدة، ومن تشبيهات جديدة لتزول آثار هذا الركود ». وهو يعنى بذلك الإقتباس من الأدب العربى بخاصة والآداب الشرقية بعامة، ونبذ الأدب اليوناني.

٤ - أما مونتسيكيو فإنه بعد اتصاله بالثقافة العربية ابتدعت عبقريته شكلاً جديداً من النقد الإجتماعي فى كتابه « رسائل فارسية ».

٥ - أما لافونتين فإن قراءته لترجمة فارسية «انوار سهيلى» من كتاب كليلة ودمنة وقصص ألف ليلة ،ليلة، كانت الحافز لتدوينه أساطيره. ثم إن روح الشرق واضحة تماماً فى قصائده ذات المغزى الشرقى.

٦ - أما الرحالة « جيرار دى نرفال » فإنه ذكر فى كتابه « رحلة إلى الشرق » ما يلى: « ... منذ وصولى إلى القاهرة وجميع حكايات ألف ليلة وليلة تخطر علي بالى وحلمت بجميع القماقم والمردة المحبوسين فيها منذ عهد سليمان ».

وهذا يؤكد المقولة الشهيرة: «إن العرب أساتذة لكثير من الشعوب، كما كان اليونان أساتذة الرومان».

كيف عرف الاوروبيون كتاب الف ليلة وليلة؟

كان العالم والمستشرق الكبير والرحالة والسياسى «جان أنطوان جالان» (Jean Antoine Galland) (١٦٤٦ - ١٧١٥ م) الفضل كل الفضل فى نقل كتاب «ألف ليلة وليلة» إلى أوروبا فى أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر الميلاديين.

استطاع «جالان» وكان يعمل آنذاك كاتبا لسر السفير الفرنسى فى استانبول، ثم جامعا للتحف بوصفه وكيلا عن الهواة وتجّار هذا الصنف أثناء تجواله بالشرق أن يعرف العالم الشرقى ويختبره. وقد صرف همّه إلى جمع عدد كبير من الحكايات والقصص الخيالية، وشرع فى ترجمة قصة السندباد البحري من مخطوطة غير حقيقية، ثم عرف أنها جزء من مجموعة كبيرة من الحكايات إسمها «ألف ليلة وليلة». وأثناء عمله سفيراً لفرنسا في استانبول حصل علي مخطوطة من «ألف ليلة وليلة»، وبدأ بترجمتها إلي اللغة الفرنسية، وأضاف إليها حكايات محدثة لم تكن من الحكايات الأصلية، مثل قصة «علاء الدين والمصباح السحرى» و «قصة علي بابا والأربعين حرامى الذين صرعتهم الجارية»و «حكاية أمير دريا بار» و «حكاية حسّان الحبّال» وحكاية «الأعمى بابا عبد الله». وصدر الكتاب فى إثنى عشر مجلداً، ونشر

في باريس على دفعات، فظهرت المجموعات السبع الأولى قبل عام ١٧٠٦م، وظهر المجلد الثامن سنة ١٧٠٩م، والمجلدان التاسع والعاشر سنة ١٧١٢م، والحادى عشر والثانى عشر سنة ١٧١٧م، أى بعد وفاة جالان بعامين.

وكان جالان قصّاصاً موهوباً بصيراً بالقصة الجيّدة، بارعاً فى إعادة روايتها وصياغتها من جديد، وأدّى هذا إلى نجاح ترجمته خاصة وأنه توقف عن العمل بعد المجلدات الثمانية الأولى بعد أن تعب وملّ الأمر كله، ولكنه لقى فى سنة ١٧٠٩ راهباً مارونياً من أهل حلب يدعى «حنا الحلبى» كان قد استقدمه إلى باريس الرحالة الفرنسى «پول لوكاس» (Paul Lucas). واكتشف جالان للوهلة الأولى أنه عثر على مصدر يروى له مادة القصص، فكان جالان يدوِّن مذكرات للحكايات التى يرويها له الراهب ثم يكتبها فيما بعد. وقد زوده حنا ببعض المخطوطات وأتم المجلدات الأربعة الأخيرة. كذلك أسعد جالان التوفيق بعد ذلك بأن جاءه من الشام نسخة خطية لهذا الكتاب فى أربع مجلدات.

والواقع أن ترجمة جالان لم تكن أمينة للأصل العربى لدرجة أنه يمكن القول أن خيال المترجم شارك فى بعض الحكايات. وبواسطة ترجمة جالان انتشر صيت «ألف ليلة وليلة» فى جميع بلاد أوروبا التى ظلت أكثر من قرن من الزمان تعتبر أن ألف ليلة وليلة ترجمة جالان. وما ذلك إلاّ أنه وُفّق فى مصدريه: المصدر المخطوط والمصدر المروى، كما وُفّق أيضا فى أنه طوّع ترجمته لذوق

القراء الأوروبيين. فكان يُغيّر أحيانا فى النص العربى ويوضح الأمور الغريبة على الأوروبيين، ولذلك حازت ترجمته لألف ليلة وليلة نجاحاً عظيماً. وبواسطة ترجمته تلك انتشر صيتها فى جميع البلاد الأوروبية والتى عرفت باسم «الليالى العربية» لدى جمهرة الكثير من القرّاء، وذاعت بين الناس فى مدة يسيرة. وانتقلت تلك الحكايت إلى مختلف اللغات الأوروبية حتى أصبح أحد الدواوين القديمة الأدبية للأوروبيين لدرجة أنه ترك تأثيرات أساسية فى تاريخ أوروبا الأدبى.

وكانت ترجمة جالان رغم ما نالت من شهرة عريضة ذات نقائص وعيوب من حيث صحة مطالبها ومطابقتها مع الأصل، إلى أن نشر المستشرق الإنجليزى الشهير «وليم لين» (William Lane) ترجمته الصحيحة سنة ١٨٤٠م باللغة الإنجليزية حاوية تحقيقات فى أصل الكتاب ومصادره، ومتضمنة تعليقات وحواشى قيمّة.

وفي سنة ١٨٢٥م بدأ المستشرق الألمانى «هابشت» (M. Habicht) بنشر خمسه عشر مجلداً مصرّحا بأنها ترجمة جديدة لألف ليلة وليلة، ولكنها فى الواقع كانت تضم نسخة جالان مع بعض الملاحق نقلاً عن «كوسان» و «جوتيه» و «سكوت» وخاتمةً زعم أنها نقلت عن مخطوط فرنسي. وبدأ «هابشت» أيضا ينشر نصاً عربياً، وهو الذى اعتمد عليه «ڤايل» (Weil) فيما بعد مع نسخة جالان وعلى مخطوطات أخرى محفوظة فى مكتبة «جوتا» وعلى نص مطبوع فى مصر، ونشر ترجمته ما بين سنتى ١٨٣٧ – ١٨٦٧م.

كما نشر السير «ريتشارد بورتون» (Sir Richard Burton) ترجمة إنجليزية أخرى أكمل من ترجمة «وليم لين»، ثم ظهرت بعد ترجمة «بورتون» ترجمتان فى سنة ١٨٩٩م، إحداهما ألمانية قام بها «إنسل فيرلاج» (Insel Verlag)، والثانية فرنسية قام بها «مردروس» (Dr. Mardrus).

وعلى هذا النحو بدأ العلماء منذ أوائل القرن التاسع عشر يهتمون بأصل ألف ليلة وليلة. واختلفت آراء دراسيه، ويعتبر «سلفستر دى ساسي» (Silvestre de Sacy) أول عالم درس هذا الكتاب سنة ١٨١٧م، فأنكر إمكان قيام فرد واحد بتأليفه، وأنه نتاج عربى خالص، ورفض الأمر القائل بوجود عناصر هندية وفارسية فيه، وزعم أن الفقرة التى وردت فى كتاب «مروج الذهب» للمسعودى بهذا الصدد منحولة عليه، وآخر ما توصل إليه أن الكتاب أُلف فى عهد متأخر جدا.

وخالف العالم النمساوى «يوسف فون هامر» (J. Von Hammer) ومعه العالم الهولندى «دى خوى» (M. de Goeje) (١٨٣٦ – ١٩٠٩م)، والعالم الدنماركى «أويسترب» (J.E. Oestrup) (١٨٦٧ – ١٩٣٨) ما قاله دى ساسى بصحة رواية المسعودى بجميع ما يترتب عليها من نتائج، وأن الكتاب المذكور ظهر بادىء الأمر فى الهند، ثم انتقل إلى إيران، وترجم بعد ذلك فى القرن الثالث الهجرى إلى العربية، ثم انتقل حوالى القرن الخامس إلى مصر حيث ظهر أخيرا

فى صورته الحالية. وقد عرضت عليه طوال هذه الفترة وفى تلك الأماكن المختلفة أنواعاً من التطوّر والتبدّل، وتعدّلت صورته كثيراً، فلحقه من الزيادة والنقصان والتكرار والتقليد ما لم يبق من أصله الهندى الفارسى سوى حكايات معدودة.

وحاول «أويستروب» فى دراسته - وهى رسالته لنيل درجة الدكتوراة من جامعة كوبنهاجن سنة ١٨٩١م - أن يصنف القصص المستقلة فى ثلاث طبقات، تشمل الأولى هيكل الكتاب والقصص المأخوذة عن الكتاب الفارسى «هزار افسانه» (ألف خرافة)، وتضم الطبقة الثانية القصص التى أخذت من بغداد، وتجمع الطبقة الثالثة القصص التى أضيفت إلى الكتاب فى مصر. وقال فى الوقت نفسه بوجود قصص أضيفت إليه فى زمن متأخر جداً مثل قصة عمر بن النعمان و ولديه، وهى من قصص البطولة والفروسية.

وفَطِن المستشرق الألمانى «موللر» (A. Müller) إلى أن الكتاب يتكون من طبقات متعددة، وقال إن إحداها أُلِّفت فى بغداد، وأن الأخرى وهى أكبر وأوسع كُتِبت فى مصر. وأخذ العلاّمة الألمانى «نولدكه» (Th. Noldecke) (١٨٣٦ - ١٩٣٠م) بنظرية الطبقات وفصّلها تفصيلاً أدق؛ إذ وضع مقاييس للموازنة لتميّز كل طبقة منها. وآخر ما نذكره من آراء ما ذكره العلامة الأمريكى «ماكدونالد» (Macdonald) أن المصدر الأساسى لألف ليلة وليلة هو كتاب «هزار افسانه» البهلوى، وأنه ليس إلاّ ترجمة للكتاب

الفارسى المذكور، أضيفت إليه بعض الحكايات فيما بعد. كما يرى أن الإضافات حصلت فى أواخر عهد الفاطميين وفى عصر المماليك، وبالتحديد فى القرن الثامن عشر الميلادى.

تأثير ألف ليلة في الغرب

كان تأثير قصص ألف ليلة وليلة ومعها الأساطير الشرقية القديمة المروية بلغة سحرية وقلم فاتن تأثيراً قوياً فى بعض الفترات حتى أنها أحدثت فى تاريخ الأدب الأوروبى إنقلاباً عظيماً حين ترجمت فى القرن الثامن عشر وعرفها الأوروبيون ، فشاع كتاب ألف ليلة وليلة فى جميع أنحاء العالم الغربى وصار مادة للأدباء والكتاب والفنانين الأوروبيين الذين اقتبسوا منه ألوف التمثيليات والقصص والموضوعات الشعرية. إن الملل من أدب القرن السابع عشر الكلاسيكى وروح المغامرة والكشف التى كانت تملأ نفس الإنسان الأوربى فى القرن الثامن عشر لم يكونا وحدهما سبب الإهتمام بقصص ألف ليلة وليلة ؛ بل لأنها تعتمد على أساس متين من الحقيقة ؛ ذلك أن المخاطرات التى تقوم بها شخصياتها مخاطرات حقيقية ، فيها ميل فطرى إلى روح التمثيل والخيال الخصب والمغامرات الغريبة ، فجاءت أسسا خلقية فى مضمونها. ولولا هذه الصفة لما شغف بها الأوروبيون، ولما استطاعت أن تحتفظ لمدة قرنين كاملين بعطف المتعلمين والسذج على السواء.

ومن أهم نتائج ترجمة ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأوربية أن تغيرت صورة الشرق فى قلوب الأوروبيين المستنيرين ؛ فكان

الشرق ، شرق ألف ليلة وليلة، إحدى الآفاق التى هفت إليها نفوس الأدباء الرومانسيين والرمزيين. ولم تكن قصص ألف ليلة وليلة وحدها هى صورة الشرق بسحره، بل كانت أوصاف الحياة الهندية والفارسية والعربية التى ظهرت فى كتابات « تافرنييه » (Tavernier) و « شاردان » (Chardin) و «برنييه» (Bernier) وغيرهم قد استطاعت أن تؤلف الصورة الرومانتيكية عن الشرق حيث أقبل القارئ الأوربى على « أدب الرحلات إلى الشرق » وإن لم يمت بصلة ما إلى « ألف ليلة وليلة » علّه يعثر على صدى لحكاياتها حيث يعيده إلى أجوائها الساحرة وألوانها الخلاّبة . فكانت فرصة لهذا الأدب أن ينتعش ويتكامل وأصبح كُتّابه « لا يقنعون بوصف المدن ومن يلقون فيها، وإنما عادات هؤلاء القوم وأقوالهم». وما يزال كُتّاب القصص الغربيون يستغلون هذه الصورة إلى يومنا هذا . و وصل الأمر بالقارئ الأوربى فى القرن الثامن عشر أنه كان فى شوق لأن « يتعرّف على أناس ليسوا من بلاده » ؛ فكان يبحث عن شئ يخرج به من قيود الأبعاد الزمانية والمكانية التى حصرت الفن خلال القرن السابع عشر. وكانت روح المغامرة والكشف قد ملأت نفس الإنسان الأوروبى، لذلك لم يكن غريباً أن تستهويه ألف ليلة وليلة، وتجد سبيلها السهل إلى نفسه، خاصة وأن ميدان أحداثها وخوارقها وشخصياتها تتجاوز أبعاد الزمان والمكان ؛ تارة بفضل خاتم سليمان وطاقية الإخفاء، وحينا على بساط الريح وطير الرخ والحصان الطائر.

إن « ألف ليلة وليلة » قد تعمّق نفوذها وترسّب تأثيرها فى النسيج الأوربى من البيان والأدب، وتلقفها أدباء كبار فاتخذوا استيحاء ألف ليلة وليلة أكثر تنوعاً وأشد تبلوراً مما كانت عليه قبل الترجمة، فلم يعد بدائياً فقط ، بل اتخذ أشكالاً متعددة من استحضار وتكييف وتبنٍّى وتكثيف . فأجاد الأدباء تصوير الشخصيات كما فعل شكسپير وموليير وتولستوى وجوته . كذلك حاول جماعة أخرى بحث الآثار الأدبية التى تركها الكتاب على أدباء أوروبا، فانتبهوا إلى أنه تغلغل إلى مسافات بعيدة جداً لا فى الحياة الأدبية فحسب ، بل فى الحياة الفنية أيضاً.

وتأثير « ألف ليلة وليلة » فى الشعر الأوروبى قد سبق ترجمتها بما لا يقل عن ثمانية قرون؛ لقد انتقلت معالم هذا التأثير عن طريق الحروب العربية البيزنطية أول الأمر عندما حملت الأغانى الشعبية البيزنطية وملحمة « ديجنس أكريتاس » (Digenis Akritas) التى تعود إلى القرن العاشر الميلادى ، ولا تزال بعض أناشيدها يردّدها الشعب اليونانى حتى الآن. ثم عن طريق الحروب الصليبية، حيث تأثر الغربيون تأثيراً كبيراً بحكايات الشرقيين لما لها من المزايا الخيالية. وكانت النتيجة أنهم عرفوا بوسائل عديدة كمّاً هائلاً من الحكايات والروايات عن العالم العربى على شاكلة قصص ألف ليلة وليلة. وقد نقلها الفرنسيون وغيرهم إلى لغاتهم وآدابهم كما لعبت التجارة والرحلات دوراً هاماً فى نقل معالم ألف ليلة وليلة إلى الشعوب الأوربية.

وأيضاً لولا ترجمة ألف ليلة وليلة فى أوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لما ظهر نوع من الأدب يعرف باسم « شعر الشرق »، ونجد قصائده تتناول بصورة مباشرة موضوعاً أو شخصية من ألف ليلة وليلة، وأيضاً احتلت أجواء « ألف ليلة وليلة » وألوانها الساحرة مجالاً رحباً فى الخيال الرومانتيكى بعد أن لعبت دوراً هاماً فى تكوينه ، ونستطيع أن نلمح أثرها بوضوح في شعر « فيكتور هيجو » (V. Hugo) فى « الشرقيات » (Les Orien-tales) فى فرنسا، و "جوته" (Goete) فى « الديوان الغربى الشرقي " (West- Östlicher Divan) فى ألمانيا، أما فى إنجلترا فإننا نستطيع أن نلمح أثرها بوضوح فى بعض قصائد شاعر الطبيعة الإنجليزى « وردز ورث » (Worldsworth) وقصيدة الشاعر الانجليزى « ألفرد تنيسون » (Alfred Tennyson) « باقات من الليالى العربية " (Recollections of the Arabian Nights) و« كولريدج » (Goleridge) فى قصيدة « قوبيلاى خان » (Kubla khan). ورغم أن هذه القصيدة تلبس جوا صينيا محليا فإننا نلمح بين ثناياها ملامح أجواء « ألف ليلة وليلة » الفريدة بنوعها وكأنها تتمرد على خيال الشاعر المحلق فى أجواء الصين البعيدة.

وكانت الحركة الرومانسية الناجمة عن انتشار قصص ألف ليلة وليلة عاملا فى دكّ معقل الكلاسيكية فى فرنسا، وخلق روح الرومانسية فى الأدب والفن وايجاد أسلوب قصصى جديد فى النقد هو الإيماء إلى الملك والكنيسة برموز شرقية، وإلباس

الأوضاع السيئة السائدة فى فرنسا فى القرن الثامن عشر ثوبا شرقيا للتهجم على مفاسد البلاط والطبقة الحاكمة بحرية وجرأة شديدة. وكل هذا عجّل بسقوط الملكية فى فرنسا لأن الرومانسية لا تعيش إلاّ فى ظل الديمقراطية البرلمانية، أما الكلاسيكية فصنوٌ للملكية المستبدة أو الدكتاتورية.

كذلك وجّه الشاعر الرمزى الأوروبى وحيه نحو الشرق؛ خاصة أن الإنسان الأوروبى فى القرن التاسع عشر قد صدم بفراغ فى عالم الواقع نتيجة المآسى التى ولّدتها ردّة الثورة الفرنسية، وانهيار طموح نابليون بونابرت، وفواجع حرب السبعين سنة، وصراع الشعوب اليائس للتخلص من الإستعباد؛ فكانت رموز الشرق، رموز ألف ليلة وليلة، خامة طيّعة لخلق صور شعرية تجرد الواقع الذى هرب منه الشاعر الرمزى. وإذا كان تنوع وعمق التكوين الذى تنتهى إليه الصورة الأسطورية الغربية فى القصيدة الرمزية يجعل من المستحيل الوصول لمقارنات مجدية بينها وبين ألف ليلة وليلة إلاّ أن روح الشرق بادية تماما وبصمات ألف ليلة وليلة واضحة كل الوضوح.

وفى مجال القصة الأوروبية، فإن تأثير ألف ليلة وليلة ينقسم إلى مرحلتين.

المرحلة الأولى: وهى مرحلة التأثير الشفاهى، وهى التى سبقت ترجمات ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأجنبية حيث كان

هناك إتصال أوروبى عربى عن طريق أسبانيا أولاً والولايات الصليبية فيما بعد، وعن طريق الرحالة والتجار والسفارات الإسلامية إلى البلاد الأوروبية.

ويلاحظ أن تأثير ألف ليلة وليلة الشفاهى فى القصة يختلف عنه فى الشعر فى ثلاثة وجوه:

- من حيث الزمان والمكان
- من حيث الشكل
- من حيث الموضوع

لقد سبق الشعرُ القصةَ فى التأثير الشفاهى بما لا يقل عن ثلاثة قرون، فملحمة «ديجنس اكريتاس» التى سبق ذكرها والأغانى الشعبية البيزنطية تعود إلى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، بينما لا نجد أثرا لألف ليلة وليلة فى القصة قبل القرن الثالث عشر الميلادى. أما الإختلاف من حيث المكان فيتجلى فى أن الأثر الشفاهى فى الشعر قد انحصر فى بيزنطة وألمانيا؛ بينما فى القصة تناول أسبانيا وإيطاليا وإنجلترا. وإذا نظرنا إلى تأثير ألف ليلة وليلة الشفاهى فى الشعر من حيث الموضوع لوجدناه فى بعض الأحداث الرئيسية والخوارق، بينما نراه فى القصة يتجلى فى الفكرة الرئيسية والحبكة الأساسية التى تربط بين الأحداث. ولعل طبيعة مقوّمات العمل القصصى التى تختلف عن طبيعة مقوّمات العمل الملحمى هى التى جعلت القصة أكثر طواعية فى

اكتساب أثر ألف ليلة وليلة بصورة ملموسة. وتضم قصص «سيرة الفارس سيفار» (Historia del Gavallero Cifar) التى كتبت بالأسبانية خلال الفترة من ١٢٩٩ و ١٣٣٥ م حول قصة من ألف ليلة وليلة، أى فى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الميلاديين، وفى «الديكاميرون» (Decamerone)، أو الأيام العشرة وهى إيطالية لبوكاتشيو، وهى عبارة عن مائة حكاية يقصها سبع شابات وثلاثة شبان تزجية لأوقات الفراغ وإبعادا لتفكيرهم عن مآسى الوباء الأسود. ومن المرّجح كل الترجيح أن بوكاتشيو قد اشتق قصصه الشرقية التى ضمنها قصصه من تلك المصادر التى نقلت عن طريق المشافهة، حيث نجد «بامبينا» فى هذه القصص أشبه ما تكون بشهرزاد فى ألف ليلة وليلة. وقد ظهر الكتاب فى سنة ١٣٤٨م، أى فى القرن الرابع عشر الميلادى.

المرحلة الثانية : وهى التى جاءت نتيجة لترجمات ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأجنبية وتتناول تأثير ألف ليلة وليلة فى القصة الإجتماعية والفلسفية والتعليمية وقصص الأطفال فى كل من إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وألمانيا والدانمارك والولايات المتحدة الأمريكية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

وكان القارئ الأوروبى فى القرن الثامن عشر فى شوق لأن «يتعرف إلى أناس ليسوا من بلاده» خاصة بعد أن جذبهم «جالان» نحو «ألف ليلة وليلة» التى ظنها الفرنسيون ومن أخذ عنهم فى

الثقافة أنها حياة الشرق وأضافوها إلى عجائب الرحلات، واعتمدوها وصفا للجنة الأرضية، وصدّقوا قول جالان فى مقدمته من ألف ليلة وليلة هى «الشرق بعاداته وأخلاقه وأديانه وشعوبه من الخاصة إلى العامة، والصورة الصادقة له، ومن قرأها فكأنه رحل إليه فسمعه ورآه ولمسه لمس اليد». «ثم إن القارئ الأوروبى كان يبحث عن شئ يخرج به من قيود الأبعاد الزمانية والمكانية التى حصرت الفن خلال القرن السابع عشر، وكانت روح المغامرة والكشف قد ملأت نفس الإنسان الأوروبى، لذلك لم يكن غريبا أن تستهويه «ألف ليلة وليلة»، وتجد سبيلها السهل إلى نفسه، حيث أن ميدان أحداثها وخوارقها وشخصياتها تتجاوز به أبعاد الزمان والمكان؛ فحلّت نماذج شهرزاد وشهريار محل الراعى (Berger) والراعية (Bergère) وقمر الزمان محل «پيريس» (Pyrrhus) و«بدور بنت الملك الغيور» محل «شيمين» (Chimène) و «أبو الحسن المغفل» محل ألست» (Alceste) والسندباد البحرى محل «هوراس» (Horace). وإذا كانت هذه الصورة تعكس حال الفرنسيين فلم يكن الإنجليز أو الإيطاليون أقل ملا منهم من إتْباع اليونان واللاتين.

ومصداقا على ذلك يقول المستشرق الانجليزى «هـ. ر. جب» (H.R. Gibb) «إنه لولا ألف ليلة وليلة لما عرف الناس قصة «رُبنسون كروزو» (Robinson Grusoe) لدانيال ديفو (Daniel de Foe)، أو ربما لم يعرفوا قصه «رحلات جلفر» (Gulliver's Travels)

لجوناثان سويفت (G. Suwift)، و «قصة حاجى بابا الأصفهانى» لجيمس موريه (J. Murrier) و «طاغية بغداد» (The Tyrant of Baghded) لجلين پيرس (Gleen Pierce) و «مغامرات الملك پوزول» (Les aventures du Roi Pausol) لپير لويس (Pierre Lowys) و غيرها كثير.

ونذكر أيضا أن الملل من أدب القرن السابع عشر الكلاسيكى وروح المغامرة والكشف التى كانت تملأ نفس الإنسان الأوروبى فى القرن الثامن عشر لم يكونا وحدهما سبب الإهتمام بألف ليلة وليلة؛ فقد اشتملت فى ثنايا مغامراتها الغريبة وخيالها الخصب أسسا أخلاقية فى لبابها. ولولا هذه الصفة لما شغف بها الأوروبيون، ولما استطاعت أت تحتفظ فى قرنين كاملين من الزمن بعطف المثقفين والسذّج على السواء. لقد لغت مكانة «ألف ليلة وليلة» فى نفس إنسان القرن الثامن عشر درجة رفعت معها فلاسفته ومفكريه أمثال «مونتسيكيو» و «ڤولتير» و «أويس» و «بكفورد» و «جويس» إلى استخدام قوالب القصة الشرقية بعامة وحكايات ألف ليلة وليلة بخاصة، لعرض أفكارهم الإجتماعية ونظرياتهم الفلسفية، واتسع مدى انتشار ألف ليلة وليلة حتى وصل الدانمارك حين استوحاها «أولنشتليجر» لقصصه التعليمية، وباتت «ألف ليلة وليلة» منذ ذلك الوقت أكثر ما تداوله القراء من كتب، وحسنت فى أعينهم جميعا؛ فكانت تعزية للحزانى وسلوى للمرضى وتنفيسا للعشاق وألعوبة للطروب وتفكهة للأمراء، فمثلا

بطل رواية «الزنبقة الحمراء» جن جنونه حين وقع على خيانة صديقة له، وما لقى سلوى إلاّ فى «ألف ليلة وليلة» فقضى ليله يقرأها حتى الصباح.

كذلك ظهرت عدة مجموعات قصصية تقلد طريقة حكايات ألف ليلة وليلة وتقتبس منها نماذج أو أحداثا لتخرجها فى قوالب جديدة مثل «حكايات الجنى» (The Tales of the Genni) للسير تشارلس مور (Sir Charles More) و «عقد اللؤلؤ الأسيوى» (Collier de Perles Asiatique) لهارتمان (Hartman) و «حب أنس الوجود» للرحالة كلود اتين سافارى، و «ملحقات ألف ليلة وليلة» لبورتن (Burton)، و «تكملة ألف ليلة وليلة» لجازوت (Suite de 1001 Nuits; Gazotte) وقصص شرقية لكايلوس وغيرها.

الأدب الفرنسى وصلته بألف ليلة وليلة

تعد فرنسا صاحبة الفضل فى نقل كتاب «ألف ليلة وليلة» إليها أولاً، ثم إلى الغرب بعد ذلك بفضل ترجمة «جالان» التى قدمت للجمهور الفرنسى فى الفترة من ١٧٠٧ حتى سنة ١٧١٧م. ومنذ ذلك الحين والأدب الفرنسي والأدباء النابغة الفرنسيون متأثرون بندرته العجيبة وجماله الساحر، وشاعت ترجمة الكتاب بين الناس فى فترة وجيزة، وأبانت الأبحاث الأخيرة أن ترجمة جالان لم تكن حدثا منعزلا، بل منتهى حركة طويلة الأمد للتصوير الفنى؛ غذّته القصة الموريسكية وبداية الرحلات إلى الشرق واستعماره، ثم الخيال المحلى الفاتن الذى خلفته سفارات متعددة شرقية كانت تأتى باريس فتبهرها وتفتنها بعظمتها وروعتها (١).

وجذبت ألف ليلة وليلة جماعة من المستشرقين والمستعربين الفرنسيين ترجمة الكتاب ودراسته نذكر ما توصلنا إليه على النحو التالي:

١ - قام «دنيس شافيه» (Denis Chavis) بترجمة سلسلة من

---

(١) انظر: بيير مارتينو: الشرق فى الأدب الفرنسى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، باريس سنة ١٩٠٦م، وعنوانه:
Pierre Martino; L'Orient dans la littérure au XVIIe et au XUIIIe siecles, Paris, 1906.

الحكايات عن العربية فى سنة ١٧٨٨م، وظهرت لياليه على هيئة ملحق لكتاب (Cabinet des Fées) (المجلدات ٣٨ - ٤١).

٢ - أضاف «كوسان دى پرسيڤال» (Caussin de Perçeval) سنة ١٨٠٦م مجلدين من ملحق طبعته لترجمة جالان.

٣ - لم يكتف «ادوارد جوتييه» (Edouard Gaut ier) فى طبعته المعتمدة لجالان (١٨٢٢ - ١٨٢٥ م) بالمجلدين المحتويين على قصص جديدة استقاها من مصادر متنوعة، بل أطلق لنفسه الحرية فأدخل غيرها فى ترجمة جالان لألف ليلة وليلة.

٤ - وفى سنة ١٨٢٨م ظهرت فى فرنسا ترجمة لألف ليلة وليلة قام بها «تريبوتين» (Trébutien)، وهى تأتى بعد ترجمة جالان شهرة، وهى عن ترجمة «زيرلنك» الألمانية.

٥ - ترجم «الدكتور ماردروس» (Dr. J.C. Mardrus) ألف ليلة وليلة إلي الفرنسية، وطبعها فى باريس سنة ١٨٩٩م، وهى أقرب الترجمات إلي الطبعات العربية، بل تعد أحسن ترجمات «ألف ليلة وليلة» إخراجاً وطبعاً، وصرّح «ماردروس» بأن ترجمته تعتمد على طبعة بولاق التى صدرت فى سنة ١٨٣٥م، ويضم كتابه ستة عشر مجلدا وأدمج فيه حكايات غير حكايات ألف ليلة وليلة نقلها من مصادر مختلفة ولم يكن يتقيد فى ترجمته بشئ، وقد ترجمت إلى الإنجليزية.

وخص المستشرق الفرنسى «شوڤان» (Chauvin) عند إحصائه

لترجمات ألف ليلة وليلة والدرسات التى قامت حولها بمائة وعشرين صفحة فى كتابه «ببليوجرافيا المؤلفات العربية» (Bibliographie des Ouvrages Arabes) فى مختلف أنحاء العالم. وكان ذلك فى سنة ١٨٨٥م. فما بالنا وقد مضى على عمله القيِّم أكثر من قرن من الزمان.

كما تناول كتاب «ألف ليلة وليلة» بالدراسة من النقاد والباحثين عدد ليس باليسير، على رأسهم المستشرق الفرنسى «سلفستر دى ساسى» وكذلك قام «نيكيتا اليسيف (Nikita Elis-seeff) بنشر دراسة تحليلة لنصوص ألف ليلة وليلة بالفرنسية فى بيروت عام ١٩٤٣م، وعنوانه:

"Thèmes et motifs des Mille et une nuits"

وكان من الطبيعى نتيجة اقتحام ألف ليلة وليلة الفكر الفرنسى وما وقع للكتاب من مكانه فى نفوس الفرنسيين أن تحولت مجارى ينابيع وحى الفن الفرنسى بخاصة والأوروبى بعامة فى القرن التاسع عشر، وبصورة خاصة إبان قيام الحركة الرومانتيكية، حتى أن فيكتور هيجو لم يتردد من القول فى شرقياته (Les Orientales) «لقد كان العالم بأسره إغريقيا، أما اليوم فهو شرقى». لقد عبّر هيجو فى تعليقه هذا بدقة عن إحلال الأساطير العربية محل مثيلتها الإغريقية.

ونذكر مثالا آخر للتدليل على ذلك. أورد« جيرار دى نرفال»

(Gérard de Nerval) في كتابه «رحلة إلى الشرق» (Voyage en Orient) (١٨٥١ – ١٨٥٧م) العبارة التالية: " ..... منذ وصولي إلى القاهرة وجميع حكايات ألف ليلة وليلة تخطر على بالي. وحلمت بجميع القماقم والمردة المحبوسين فيها منذ عهد سليمان». وهذا يدلّنا على أي مدى أثرت قصص ألف ليلة وليلة في خيال الأديب الفرنسي، فجعلته يقصد الشرق علّه يعثر على تلك الأجواء الساحرة التي قرأ عنها.

ونذكر فيما يلي بعض تأثيرات «ألف ليلة وليلة» على كتّاب فرنسيين:

١ – تأثر «مونتسيكيو» (Montesquieu) بالشرق بما كان يتصفحه من كتب الرحلات وترجمات المستشرقين لأمهات المصنفات العربية، ودوّن قصصاً ذات مغزى. وساد بين أدباء أوروبا في القرن الثامن عشر فن من الأدب هو القصة ذات المغزى والرموز. وكان الأدباء حين يريدون معالجة هذا الضرب من الأدب يعرجون بطريقة طبيعية إلى الشرق، فيجرون القول على لسان شرقي، وقد يجعلون مشهد القصة بلداً شرقياً ويجرون القصه على لسان شخصية شرقية، كما فعل «مونتسيكيو» في «رسائل فارسية» (Lèttres Persanes) حيث ابتدع شكلا جديدا من النقد الإجتماعي على شكل مجموعة رسائل تهكمية نشرها عام ١٧٢١م باسم مستعار. وكانت عبارة عن مراسلة خيالية بين شخصين

خياليين من نبلاء الفرس هما «أوزبك» (Usbek) و «ريكا» (Rice) كانا قد رحلا إلى أوربا ووصلا إلى باريس وأخذا يرسلان إلى أصدقائهما فى فارس رسائل تضم انتقاداً للمجتمع الفرنسى المتفسخ آنذاك.

لقد جاءت الرسائل الفارسية فصلا من «ألف ليلة وليلة» ومشتملة على نزعاتها وتعدد احتفالاتها من خلال الرسائل التى يتلقاها أوزبك وهو فى پاريس من أصدقائه فى فارس، ويروون فيها ما يجرى فى أصفهان وخاصة فى «سرايته» (Serail)، أى قصره، حيث يعيش الحريم والخصيان، وحيث نجد ملامح حكاية «شهرزاد» من خيانة زوجية وقطع للرؤوس». ونجد أيضا جو ألف ليلة وليلة يتجلى بوضوح فى حياة القصور الشرقية وما يحاك فيها من مؤامرات، وما يدور من صراع غامض وخيانات، وفى تصويره للجنة الأرضية (ويقصد بذلك بلاد فارس) وهو فى ثوب قشيب وملك فيلسوف حر مستظرف. كما يصف فى رسائله بصراحة سياسة الفرنسيين وعقيدتهم الدينية وعاداتهم الإجتماعية.

إن مَنْ يمعن النظر فى الرسائل الفارسية يردها إلى أصلها «ألف ليلة وليلة» فلاقت إقبالاً شديداً وأسرع الكتاب يستزيدون منها، وحاكاها بعضهم ونجحوا فى ذلك نجاحا كبيرا. وهذا ما حدا بالناقد الفرنسى «ڤيام» عند حديثه عن الأثر الذى تركته قصص ألف ليلة وليلة فى كتاب مونتسكيو بقوله: «إن الرسائل

الفارسية كثيرا ما تعطينا الفكرة على أنها قطعة من ألف ليلة وليلة، وقد ألبسها الفيلسوف (ويقصد مونتسكيو) رداء جديداً وتعد باكورة القصة الاجتماعية فى الأدب الفرنسى.

٢ - يلاحظ تأثير ألف ليلة وليلة فى «قصائد الأمثال» (Les Fables) التى كتبها «فلورين» فى القرن الثامن عشر أكثر من أمثال «لافونتين» (La Fontaine). وتفسير هذه الظاهرة هو أن ترجمة جالان لألف ليلة وليلة كانت بعد موت «لافونتين» بتسعة عشر عاما. ولا شك أن فلورين قد اطلع على ترجمة جالان؛ فقد نشر قصائده سنة ١٧٩٢م أى بعد ما يزيد على الستين عاما من ظهور ترجمة جالان. إن من يكتب قصائد مثل «الخليفة» (Le Calife) و«الدرويش والزاغ والفقمة» (Le Dervis, la Corneille et le Façon) لا بد أن يكون قد قرأ ألف ليلة وليلة مرّات ومرّات وتأثر بها أيما تأثر.

ويعتبر لافونتين صاحب دوّر كبير فى نقل الأمثال والنوادر والقصص الحِكَمية القصيرة الشرقية، ونقل هذا الفن الشرقى إلى الآداب الأوروبية فى العصر الوسيط. ويظهر هذا جليا فى مقطوعاته الشعرية التى نجد شبها كبيرا بينها وبين أقاصيص كتاب «كليلة ودمنة» للحكيم الهندى بيدبا والتى ترجمها عبد الله ابن المقفع إلى اللغة العربية عن ترجمة فارسية پهلوية فى القرن الثانى الهجرى.

إن أساطير الخرافات الحيوانية المعروفة باسم «پلپاى» (Pilpay) والتى أغرم لافونتين بقصصها القصيرة الهادفة ذات الجوانب الأدبية المتعددة التى شرع فى تدوينها ابتداء من سنة ١٦٦٤م ذات مصادر متعددة: شرقية ولاتينية ويونانية ومعاصرة للكاتب، ولكن كتاب «كليلة ودمنة» كان الحافز لظهور أساطير لافونتين» لقد عرفها عن ترجمة فارسية لهذا الكتاب عنوانها «أنوار سهيلى» لكمال الدين حسين الواعظ الكاشفى (ت. ٩١٠ هـ)، وأضاف من عنده عبارات وحكايات جديدة فكان كتاب كليلة ودمنة الإلهام لما ألف من قصص، ولاقت رواجا كبيرا.

وأصدر لافونتين مجاميع متتابعة لحكايات منظومة أعاد فيها صياغة أساطيرها وأمْيَزها تلك التى صدرت فى السنوات ١٦٦٨، ١٦٧٨ و ١٦٩٤م أى قبل وفاته بعام واحد. إن النجاح المستمر الذى كانت تلقاه هذه القصص الشرقية يظهر سحرها الجذاب وقوتها الأخاذه حتى فى عجيج البحر المتلاطم لحركة بعث الآداب الكلاسكية.

إن روح الشرق واضحة تماما فى قصائد لافونتين ذات المصدر الشرقى.

٣ - لم تكن قصة «صادق» (Sadig) (١٧٤٧م) لڤولتير (Voltaire) وهى التى تعد النواة الأولى للقصة الفلسفية فى الأدب الفرنسى أولى اهتمامات «ڤولتير» على نسق قصص ألف ليلة وليلة: ذلك

النسق الذى شغف به أدباء القرن الثامن عشر. فقد سبق له أن كتب مسرحيات «زايير» (Zaire) سنة ١٧٣٢م متأثرا بمسرحية «اوتيللو» (Othello) لشكسپير والتى تدور أحداثها فى إطار شرقى ذى لون تركى، و «محمد» (Mahomet) و «زولين» (Zuline) «وعذراء» (Azoura) و «عشتروت» (Astarté). وعندما بدأ يكتب «صادق» كان على وشك الإنتهاء من «سميراميس» مستوحيا ألف ليلة وليلة ومتأثرا بجوها العام. وتتشابه بعض الوقائع والأحداث والشخصيات التى تحويها قصة «صادق» إلى حد بعيد مع ما تتضمنه حكايات ألف ليلة وليلة؛ فالخيانة الزوجية التى يصطدم بها «صادق» تذكرنا بمأساة شهريار عندما يفاجأ بخيانة زوجته له والانتقال الفجائى من حياة القصور إلى حياة الصعاليك والعبيد ملمحا إلى الصعاليك الثلاثة فى حكاية الحتال والبنات الثلاثة. وفقد «صادق» محبوبته ولم يعثر عليها إلا بعد سنين طويلة من البحث المضنى والمخاطر الشديدة، وهى شبيهة بما لاقاه عدد كبير من أبطال حكايات ألف ليلة وليلة أمثال قمر الزمان وتاج الملوك وغيرهما.

ثم إن ڤولتير قد اطلع على ترجمات المستشرقين لكتب شرقية، وإذا أضفنا ما استوحاه فى بعض قصصه من ألف ليلة وليلة وعجنها بذوقه الخاص الذى انفرد به خاصة فى وصف حياة القصور والمدن مثل «بابل» و«سرنديب». ولعل اسم السلطانة

(Scherra) هى شهرزاد أكثر مما يعنى « مدام دى بومبادور » التى قصدها المؤلف.

لقد اعترف ڤولتير أنه لم يصبح قصصيا إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة.

٤ - لم ينس الشاعر الفرنسى « ڤكتور هيجو » (Victor marie Hugo) الشرق فى شعره، فنظم « الشرقيات » (Les Orientales) وأودع فيها خيال الشرق فى قصائده : « نار السماء » و « سارة المستحمة » و « الأسيرة والجن » و « ضوء القمر » و « وداع غانية غربية » حيث نلمس تأثره المباشر بأجواء ألف ليلة وليلة الساحرة وألوانها الخلابة، حتى أنه لم يتردد فى القول فى مقدمة « الشرقيات » بما يلى: « لقد كان العالم بأسره إغريقيا، أما اليوم فهو شرقى ».

٥ - ونعتقد أن « ألكسندر دوماس الأب » (A. Dumas Père) أراد فى قصة « الكونت دى مونت كريستو » أن يقدم شخصية تضاهى شخصيات ألف ليلة وليلة فى غموض ماضيها، وفى حصولها على الثراء المفاجئ بفضل كنز تقوده إليه شخصية حكيمة. والدليل على ذلك ما نجده من شخصيات شرقية فى القصة، كشخصية « على » و « جارية الكونت ». ثم إن دوماس ذكر فى قصته « السندباد البحرى » ثلاث مرات. كما أنه أورد فيها ذكر « كنوز ألف ليلة وليلة » كتشبيه على الثراء الفاحش.

٦ - وقبل أن يأفل القرن التاسع عشر كتب «جوتييه» (Gautier) قصة تخيل فيها الجفاف الذى أصاب معين خيال شهرزاد وعدم استطاعتها الرواية لشهريار حكاياتها المحتدمة التى استنفذتها فى ألف ليلة وليلة ولكن شهريار يظل مصرا على الإستماع إلى حكايات جديدة فتخشى شهرزاد انتقامه وتهرع إلى الكاتب نفسه «جوتيه» تستنجده طالبة إمدادها بحكاية ترويها لمليكها شهريار.

٧ - إستوحى الكاتب الفرنسى «هنرى دى رينيه» (Henri de Regnier) شخصية شهرزاد مما يدل على عدم انقطاع صلة القصة الأوروبية بألف ليلة وليلة.

٨ - وفى سنة ١٩٤٨م تجددت صلة المسرح الفرنسى بألف ليلة وليلة عند «جول سوپر ڤيل» (Jules Supervielles) فى مسرحية «شهرزاد» (Shéherazade).

٩ - وأخيرا تؤلف ألف ليلة وليلة إحدى المصادر الأساسية لأدب الأطفال فى فرنسا.

وكان تدفق لون «ألف ليلة وليلة» على القصة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر من الغزارة بحيث ألهبت أخيلة جمهرة القارئين، وتزاحم الناشرون يريدون سد هذا النهم الجديد، فتدخل الدافع التجارى محل الدافع الفنى وفتحت بعض الصحف صفحاتها إلى القصص الشرقى دون أن تبالى بالقيمة الفنية؛ إذا

كان همها منصرفا إلى جلب أكبر عدد من القراء الذين يستهويهم لون ألف ليلة وليلة. وعندما أخذ المعين الذى تستمد منه هذه المواد الخام ينضب، نشط بعض الكتّاب إلى العمل لسد هذا النقص مثل ما فعل الكاتب الفرنسى «جوليت» (Geuliette) فأشغل حياة جيل بشرى بما كان ينسجه من خياله وتأليف ترجمات زائفة على نسق ألف ليلة وليلة.

الأدب الإنجليزى وصلته بألف ليلة وليلة

ينقسم تأثير ألف ليلة وليلة فى الأدب الإنجليزى إلى مرحلتين، هما:

المرحلة الشفاهية : وهى قبل بداية القرن الثامن عشر وترجمة ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأوربية، وتتمثل فى قصة « الفارس الغلام » (Squires Tale) للشاعر الإنجليزى « جوفرى تشوسر » (G. Chaucer) وهى واحدة من قصص ألف ليلة وليلة. ويعود الفضل فى اكتشاف أثر ألف ليلة وليلة الشفاهى فى هذه القصة إلى المستشرق « جب » (Gibb) فذكر : إن «قصة تشوسر المسمّاة « حكاية الفارس الغلام » ليست غير واحدة من قصص ألف ليلة وليلة التى يحتمل أن تكون قد جاءت إلى أوربا على أيدى التجار من إقليم البحر الأسود. ذلك أن قصة تشوسر هذه تدور في بلاط خان المغول علي نهر الفلجا، أو كما يقول تشوسر نفسه فى مدينة « سراى » ببلاد التتار (At Sarray in the Land of Tartarye).

ومما لا شك فيه أن المستشرق جب لم يدل بهذا الرأى الخطير إلاّ بعد دراسات جديّة. وليس من المستبعد بحال من الأحوال وجود أثر لألف ليلة وليلة فى قصة تشوسر أو سواها من القصص الإنجليزى خلال القرن الخامس عشر الميلادى طالما أن انتقال الأصول العربية إلى أوربا كان أمراً مسلّماً به ولا يشك فى صحته.

وأيضاً الشاعر الكبير « وليم شكسبير » (W. Shakespeare).

وقد توصل إلى قصص ألف ليلة عن ثلاث طرق :

- الديكاميرون.
- السياح والسفراء والتجار.
- البحارة العرب الذين إلتجأوا إلى سواحل «كورنوفيل» على أثر دمار الأرمادا.[1]

لقد كانت جوانب وأحوال الحياة والحضارة العربية جزءا من ثقافة شكسبير ونراها تتجلى في كثير من آثاره الأدبية، ونستعرض بعضا منها المتأثرة بقصص ألف ليلة وليلة:

أولاً : مسرحية «أوتيللو» (Othello)[2]:

هناك وجوه شبه بين مسرحية «أوتيللو» (عطيل) وبين حكاية «قمر الزمان» (الليالي ٩٦٢ - ٩٧٢) فكلتاهما تصوّران الغيرة، ودافع الغيرة عند «أوتيللو» المنديل، وعند الجوهرى فى حكاية قمر

(١) الأرماد : هو أسطول فيليب الثاني ملك اسبانيا الذى بعث به لقتال أساطيل الملكة اليزابيث الأولي، (١٥٣٣ - ١٦٠٣) والذي يعتبر عصرها من أزهى العصور في التاريخ الإنجليزى، فحطمته العواصف والزوابع فضلا عن سفن الأعداء المقاتلة.

(٢) تتميز مسرحية «أوتيللو» بأنها تترك في نفس المشاهد والقارىء شعوراً بالضيق والتبرّم، لأن الطباع تتطور بسرعة كبيرة: فهذا أوتيللو، المراكشى الذكي المستقيم، ينقلب فجأة بمجرد ما يتسرب الشك إلي روحه إلي شيطان محموم غيور مجنون. وهذه ديدمونة، المتكبرة الجريئة التى تتحدى حنق أبيها و تطالب أمام مجلس شيوخ البندقية بحقوق الحب في كثير من الكبريا»، تتحول بسرعة فائقة إلى حمامة مذعورة، بمجرد ما يبدى لها سيدها المراكشي شيئا من غضبه. وأقوى شخصيات هذه المسرحية ولعلها أقوى الشخصيات الأدبية التى عرفها العالم، شخصية إياجو، هذا العبقرى الشرير المبغض المتآمر الذى يجد أعظم اللذة وأكبر السرور في رؤية الناس يتألمون. حين كشف أمره لم ينبس بكلمة واحدة تنم عن الندم...

الزمان السكين تارة والساعة تارة أخرى. وتنتهى حكاية قمر الزمان بأن يخنق الجوهرى زوجته وجاريته معا لأن زوجته كانت خائنة وساعدتها جاريتها فى هذه الخيانة فاستحقا العقاب. وفعل نفس الشيء «أوتيللو» مع «ديدمونا». ولكن الفرق فى الحالتين أن زوجة الجوهرى كانت خائنة حقا، بينما زوجة أوتيللو كانت بريئة وماتت ظلما ضحية مكيدة سافلة. وعندما تحقق أوتيللو بنفسه من ذلك فيما بعد عمد إلى الإنتحار تكفيراً عما جنته يداه. ويكاد يكون هناك شبه بين إسم «أوتيللو» (عطيل) وعبيد (وهو اسم الجوهرى في حكاية قمر الزمان). ومعلوم أن إسم عبيد هو اختصار وتصغير لعبد الله ويكون أوتيللو تحريفا لعبد الله.

ونورد فيما يلى مشهدا من مسرحية «أوتيللو» تتجلى فيه روح الثاقفة العربية وهو: «يقول «إياجو» (Iago) فى مسرحية أوتيللو «إن الليالي يحملن كثيرا من الحوادث وسيلدنها»، وليس هذا إلاّ صدى للبيت العربى المشهور:

«والليالى من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب»

ثانيا: رواية «ماكبث» (Macbeth) [1]:

وفكرة هذه الرواية مستوحاة من قصة «زرقاء اليمامة». وقد ضمّن شكسبير فيها فكرة الغاب المتحرك حينما عبأ «مكدوف» (Macduff) جيشه العظيم منتقما لوالده المغدور به ومستعيداً ملكه المغتصب من مكبث القائد الطاغية العنيد، بعث الأخير من يستطلع أمر عدوّه، فاعتلى أحد جنده ربوة عالية تشرف على جيش مكدوف. وبدلاً من أن يرى جيشا لجبا رأى غابة كثيفة تتحرك نحوه رويداً رويداً. فعاد الرسول وأخبر مولاه بما رأى. فأيقن مكبث أنه لا محالة هالك، حيث تتحقق نبوءة الساحرات الثلاثة اللائى ظهرن له فى أول عهده وتنبأن له باعتلاء العرش، وأنه لن يلقى حتفه حتى يرى «غاب برنام» (Birnam wood) يتحرك نحو مقاطعة «دانستان» (Dansinane). وما كان غاب «برنام» الذى شاهده جندى الطليعة يتحرّك إلاّ جيش مكدوف مستترا بأشجار اقتطعها وحمل كل جندى منهم شجرة يسير تحتها متخفيا ليتمكنوا بذلك من

(١) من أحسن ما ألفّ شكسبير وأقل تطرفاً، برع فى تحليل الشعور المعذّب. وماكبث رجل كان فى وسعه أن يكون إنساناً صالحاً لولا تآمر القدر عليه، فنبوءة الساحرات، وثقة الملك العمياء به، ثم طمع امرأته القاسى، كل ذلك دفعه إلي أن يمثل ذات ليلة دور القاتل الخائف ويصبح ماكبث ملكا، ولكنه لم ينعم بالهدوء، بل تلازمه الأشباح وامرأته يحطمها تمزق الروح وليس الندم فتصبح مجنونة. وتجعل تطوف فى أنحاء القصر تمسح يدها لتمحو بقعة الدم يصوّرها لها الخيال. وتتسارع الحوادث، ويموت ماكبث وهو يحارب، فيفدى نفسه بهذا الألم الروحى، وهذه الميتة الشريفة.

مفاجأة العدو والإيقاع به على حين غرة. وعلى هذا النحو من الخداع أسفرت المعركة عن هزيمة مكبث ولقاء حتفه على يد الإبن الثائر. وهى عينها قصة «زرقاء اليمامة» التى كانت ترى الجيش من مسير ثلاثين ميلا.

ثم إن القول الذى أجراه شكسپير على لسان «ليدى ماكبث» (Lady Macbeth) «كل ما فى بلاد العرب من عطور لا تكفى لتعطير هذه اليد الصغيرة». وهذا يدل علي أن شكسپير لم يكن بعيدا عن معرفة أحوال العرب وحضارتهم. كما أن الإيمان بنبوءات المنجمين وتسلط القدرية على سلوك ماكبث نجده عند أبطال ألف ليلة وليلة.

ثالثا: تتشابه مسرحية «العاصفة» (The Tempest) فى كثير من وقائعها حكاية «جزيرة الكنوز»، فكلتاهما مليئة بالسحر والشياطين التي تأتمر بأمرسلطان الجزيرة. وتذكرنا العصا السحرية التي تخفى «أريل» (Ariel) عن الأنظار فى المسرحية بطاقية الإخفاء وخاتم سليمان في حكايتى «علاء الدين أبى الشامات» و «معروف الإسكافي» وغيرهما من حكايات ألف ليلة وليلة. كما أن لكل من شخصيتى «كاليبانى» و «أريل» مكاناً فى ألف ليلة وليلة.

رابعا: تشبه أحداث مسرحية «تاجر البندقية» حكاية «مسرور التاجر وزين المواصف»، وإن كان مصير اليهودى فى ألف ليلة وليلة أفظع من مصيره عند شكسپير.

خامسا: تصوّر قصة «الملك لير» فكرة الجحود ونكران الجميل على

شـاكلة حكايـة «يـونـان والحكيـم دوبان» فـي ألف لـيلة ولـيلة، ويـتفق كل مـن شكسـپيـر وألـف لـيلة ولـيلة فـى الـهدف.

سادسا: هـناك بـعض مـعالـم ألـف لـيلة ولـيلة فـى مطلع مـسـرحـيـة «تـرويـض المرأة الـشريـرة» (the Taming of Serow) وذلك عـن طريـق سريـان الأخـبار خلال الحرب الصـلـيـبـيـة.

سابعا: نجـد أثـراً لألـف لـيلة ولـيلة فـى مـسرحية «حلم فى مـنتصف لـيلة صيـف»!

ثامنا: وتـأثـيـر غـيـر مـبـاشـر عن طريـق الـديكامـيـرون فـي مـسـرحـيـة «العبرة بالخواتيم».

ومـنـذ تـرجـم جـالان ألـف لـيـلة ولـيـلة وانـتـقـالـهـا إلى إنجلـترا حـتـى اهـتم بـهـا الإنجليـز إهـتمـامـا بـالـغاً وأسـهـمـوا إسـهـامـاً كـبـيـراً فـى تـكويـن الـشكل الـنـهـائى لـهـذا الـكـتـاب الـقـصـصـى. ونـورد فـيـمـا يـلى بـعض مـن درسـوا ألـف لـيلة ولـيلة مـن الإنجلـيز أو قـامـوا بـتـرجـمـتـهـا أو تـحـقـيـقـهـا أو الإقـتـبـاس مـنـهـا:

١ - ظـهـرت فـى الـفـتـرة مـا بـين عـام ١٧٩٢ - ١٧٩٤م ثـلاث تـرجـمـات إنـجلـيـزيـة مـسـتـقـلة لملحق كـتاب (Cabinet des Fees).

٢ - نـشـر «ولـيـم بـلـو» (William Beloe) فـى سـنـة ١٧٩٥م بـعـض الـقـصـص الـعـربـيـة الـتـى نـقـلـهـا لـه شـفـويـا «بـاتـريـك راسـل» (Batrick Russel) مـؤلـف كـتـاب (The national Histery of Aleppo) (١٧٩٤م)

وذلك في المجلد الثالث من كتاب (Miscellanies).

٣ - ترجم «جوناثان سكوت» (Jonathan Scott) في كتاب (Tales, Anecedotes and Letters) (١٨٠٠م) قصصاً نقلها من مخطوط لألف ليلة وليلة أحضره من الهند «جيمس أندرسون» (James Anderson). وفي سنة ١٨١١م أضاف إلى طبعته لنسخة إنجليزية من ترجمة جالان قصصا جديدة نقلها من مخطوط كان يمتلكه «وورتلي مونتاجو» (Wortley Montague) المحفوظ الآن في أكسفورد. وتعتبر ترجمته أبرز ترجمات ألف ليلة وليلة وقد أتمها سنة ١٨١١م معتمدا على طبعة كلكتا الثانية، وتقع في ستة أجزاء.

٤ - ترجم «هنري تورنس» (Henry Torrens) كتاب ألف ليلة وليلة إلى الإنجليزية معتمدا على طبعة «مكناتن». وظهر المجلد الأول في كل من كلكته ولندن عام ١٨٣٨م. أما مقدمته فقد كتبت في «سملا» بالهملايا (الهند) في ٣١ يوليو ٨٣٨م. ويشمل هذ المجلد على الخمسين ليلة الأولى فقط. وتُعَد هذه أول محاولة بعد «جالان» لإصدار ألف ليلة وليلةفي ثوب أدبي. ولما أُعلن عن ترجمة «وليم لين» (W. Lane) امتنع تورنس عن إتمام ترجمته. وكان مقدّرا لهذه الترجمة أن تأتي بأشياء جديدة وقيّمة،ولكن المنية عاجلته بعد إتمام الخمسين ليلة الأولى فقط والتي توقف بدوره عندها كماسبق أن ذكرنا. وفي هذ الشأن كتب «جون باين» (John Payne) يقول: «أنه لم يكن يترجم كتاب ألف ليلة وليلة لو أن «تورنس» أتم

الترجمة التي بدأها».

٥ - ترجم المستشرق «إدوارد لين» (Ed.W. Lane) (١٨٠١ - ١٨٧٦م) ألف ليلة وليلة، وقد أجاد ترجمة جزء منها. وبذلك تعتبر ترجمته غير كاملة ولكن عليها تعليقات وافية قيمّة جدا. وقد بدأ ظهورها في ستة أجزاء سنة ١٨٣٩م، وتم إخراجها في سنة ١٨٤١م. وهذه الترجمة نقلت عن طبعة بولاق الأولى مع إشارات إلى طبعة «برسلاو» وهي ترجمة صحيحة وممتعة، ولاتزال تسحر ألباب الآلاف ممن لم يكن في استطاعتهم قراءة الأصل العربي. ثم إن ترجمة لين أثرت إلى حد كبير على فن التمثيل الهزلي (Pantonime) في إنجلترا.

وتفرّدت ترجمة لين عن سابقاتها بروح المتن العربي وفحواه وجوّه وبشروح وتفاسير وحواش إضافية عن العادات الإسلامية في القرون الوسطى. وقد أعيد نشر حواشيه على ألف ليلة وليلة فيما بعد على حدة بعنوان: «الحياة العربية في القرون الوسطى (١٨٥٩م). وهي ملاحظات قيمة حول العادات والتقاليد العربية.

٦ - ترجم «جون باين» (John Payne) ألف ليلة وليلة سنة ١٨٤٢م.

٧ - نشر السير وليم ماكنجتن (Sir William Macnaghten) (١٧٩٣ - ١٨٤١م) أربعة أجزاء من ألف ليلة ليلة عن مخطوط مصري (كلكته ١٨٣٩ - ١٨٤٢م).

٨ - شرع «توريتر» في ترجمة ألف ليلة وليلة وصدر الجزء الأول عام ١٨٣٩، ولم يكمل مشروع الترجمة عندما علم بترجمة لين.

٩ - ترجم «السير ريتشارد بيرتون» (Sir Richard Burton) ألف ليلة وليلة إلى الإنجليزية أيضا. وتعد أكمل ترجمات ألف ليلة وليلة وأدقها.وذلك عن طبعة «مكناتن»، ولكنه اعتمد كثيراًعلى ترجمة «جون باين»، بل نقل منها نقلا حرفيا فى كثير من الأحيان. كما ترجم الأجزاء المنظومة التى يبلغ عددها ١٢٠٠ قطعة تقريبا بكل مهارة ودقة. وتُعَد ترجمة ريتشارد بورتون أكبر وأضخم التراجم الإنجليزية الأدبية القديمة وهى تمثل روح ألف ليلة وليلة أسمى معانى التمثيل. وكان بورتون ضابطا بالجيش البريطانى فى الهند وأقام فيها. وكان يعرف العربية حق المعرفة، وكانت هوايته لاقتحام المخاطر واضحة ومعروفة بين الناس، وتجوّل فى بلاد عديدة من آسيا وأفريقيا، وزار مكّة المكرمة والمدينة المنورة مختفيا ومتنكراً في زى مسلم أفغانى.

لقد ترجم بورتون كتاب ألف ليلة وليلة إلى اللغة الإنجليزية فى أسلوب بديع ونثر ممتاز، وكان يمثل الأصل بجميع مزاياه من المعانى والألفاظ. ونشر الكتاب فى سبعة عشر مجلداً تضم ٤٢٦ قصة فقط، وبلغ عدد القصص فى المجلدات العشرة الأولى ٢٣١ قصة فى سنة ١٨٨٥م، والمجلدات السبع الباقية ويبلغ عدد قصصها ١٢٥ قصة فإنها صدرت بين سنتى ١٨٨٦ و ١٨٨٨م. وقد أعيد طبع الترجمة عدة مرات. هذا وكانت عقلية بيرتون الصليبية المتعصبة

والإستعمارية جعلته يسهب فى وضع تعليقات وشروح جنسية الكثير منها من نسج خياله

١٠ – ترجم «بويس ماذرز» (E. Pawys Mathars) كتاب ألف ليلة وليلة إلى الإنجليزية. وقد وضع نصب عينيه وهو يترجم الكتاب أن يتحاشى العيوب التى ظهرت فى ترجمة «جالان» الفرنسية، وترجمة لين الإنجليزية، وترجمة ريتشارد بورتون. ولم يفته أن ينتفع بمحاسن الترجمة الفرنسية التى وضعها «الدكتور ج. ماردروس» سنة ١٨٩٩م، وتأثر بها كثيرا فجاءت الترجمة الإنجليزية ترجمة عن الفرنسية، كما قلّدها فى بعض صورها، فنقل الأشعار العربية إلى شعر إنجليزى رائع. وإذا عرفنا أن المترجم أديب إنجليزى كبير وشاعر فذ علمنا إلى أى حد وفّق فى نقل أشعار ألف ليلة وليلة.

١١ – وكتب المستشرق د.ب.ماكدونالد (S.B. Macdonald) مقالا عن ألف ليلة وليلة خصه لدائرة المعارف الإسلامية.

الأدب القصصي الإنجليزى وتأثره بألف ليلة وليلة

تميّز الأدب القصصي الإنجليزى في القرن الثامن عشر بتركيزه على إبراز المضامين الخلقية التعليمية. وقد أتاح ظهور ألف ليلة وليلة بصورة خاصة وانتشار القصة الشرقية بصورة عامة الفرصة أمام القصاصين الإنجليز للحصول على مادة مرنة يكيفونها وفق أهدافهم ومراميهم الإجتماعية. والملاحظ أن النسق الذى اتبعته القصة الإجتماعية فى إنجلترا خلال القرن الثامن عشر كان نفسه الذى اتبع فى فرنسا؛ فمقالات «جولد سميث» (Goldsmith) (١٧٢٨ - ١٧٧٤م) « رسائل صينية "ضمن كتاب «مواطن العالم» تدور حول رسائل يكتبها أديب صينى يزور إنجلترا وينتقد فيها المجتمع والتقاليد فى إنجلترا، وهى على طريقة مونتسيكيو فى «رسائل فارسية».

ومما لا شك فيه أن القصة الفلسفية التى ظهرت فى إنجلترا فى القرن الثامن عشر تختلف اختلافا بيّنا فى مواضيعها ومضامينها الفكرية عن تلك التى ظهرت فى فرنسا وألمانيا فقد لوحظ أن القصصيين الإنجليز اقتصروا على تناول الفلسفة الأخلاقية والدينية. وأشهر القصص الفلسفية التى ظهرت خلال القرن الثامن عشر فى إنجلترا نذكر «رؤيا ميرزا»

(The Vision of Mirza) لجوزيف أويس، ونشرها في العددرقم ١٥٥ من مجلة «سپكتيتور» (Spectator). وقد زعم أويس فى مطلعها أن ما وضعه ليس إلاّ ترجمة لمخطوطة شرقية عثر عليها. وتتلخص حوادث قصة «رؤيا ميرزا» على النحو التالى: «يصعد ميرزا إلى التلال العالية المحيطة بمدينة بغداد للتأمّل. وهناك يلتقى بجنىّ يريه نهر الخلود الذى يقوم عليه جسر يمثل الحياة البشرية. وترمز كل قنطرة من قناطر الجسر المائة إلى سنة من الحياة. وكان من المستحيل اجتياز هذ الجسر؛ فقد كانت قناطره الأخيرة متهدمة. وتعيش على الجسر كائنات غير إنسانية تمثل الأمراض وحوادث الدهر تقوم بدفع من يحاول عبور الجسر من الناس يميناً ويساراً لا تفرق بين قوى وضعيف ولا بين كبير وصغير. والنهر يجرى نحو نقطة تنتهى بصخر هائل يتشعب إلى فرعين، الفرع الأيسر محجوب بغيوم سوداء، والفرع الأيمن تنتشر فيه الجزر الجميلة حيث الخلود، ولا يقذف التيار إليه إلاّ السعداء والمحظوظين. وعندما يحاول ميرزا اكتشاف النفوس البشرية التي قذفها التيار إلى الجهة اليسرى يختفى الجنىّ.

ومن القصص الفلسفى الإنجليزى نذكر قصة «تاريخ الخليفة الواثق» (Vathek) تأليف «وليم بكفورد» (William Bechford) ويلاحظ فى هذه القصة التناقض الشديد بين شخصية الواثق التاريخية وشخصيته القصصية. إن الجزء الأول من القصة عبارة عن تخيلات وهمية حاول فيها المؤلف تقليد خيال القصص فى ألف

ليلة وليلة. وقد حشر فى هذا الجزء كثيرا من النكات المرحة والحوادث الصبيانية التافهة محاولا بذلك أن يصوّر شخصية الواثق شريرة، ولكن من الناحية الفنية الأدبية فشل فشلا ذريعا. وينتهى كتاب «بكفورد» بتصوير خيالى حالة الواثق ومحظيته «نور النهار» وهما غارقان فى الآثام، وينزلان إلى قصر إبليس فى العالم السفلى عقابا للجرائم التى اقترفاها..... وهناك يتحوّل حبهما إلى كراهية ويهيمان على وجهيهما.

وأيضا من القصص الفلسفى الإنجليزى ظهرت قصة «الرأس سيلاس» (Rasselas) التي دوّنها «صمويل جونس»، ويدور موضوعها حول أمير خيالى من أمراء الحبشة، قصد بها الكاتب إلى التهكم بالحياة الإنسانية تهكما تحس فيه نغمة الأسى والحزن. وليست هذه القصة تقليداً مباشراً لقصص ألف ليلة وليلة، ولكن كانت محاولة من تلك المحاولات التى تهدف إلى الوعظ والتعليم الخلقي فى جو قصة شرقية.

ويذكر الناقد الإنجليزى «بيرون سميث»[1] «أن قصتى «رؤيا ميرزا» و «الرأس سيلاس» تمثلان القصة الشرقية التى حوّرت وعزّزت بالعظمة إلى أن أصبحت نوعا من القصة يختلف عن ألف ليلة وليلة اختلافا بيّنا. ولكن رغم هذا فإن فى القصتين عناصر

---

(١) بيرون سميث: ألف ليلة وليلة والأدب الإنجليزى فى القرن الثامن عشر، مقال بمجلة «الأبحاث» - الجامعة الأمريكية، بيروت، السنة الثانية، الجزء الثالث، ايلول سنة ١٩٤٩م، ص ٣١٠.

عدّة تذكرنا بالمصدر الذى استقتا منه، ونعنى به كتاب ألف ليلة وليلة». ثم إن بيرون سميث يذكر فى دراساته أن الإنجليز فعلوا عكس ما توخته القصة الشرقية من تسلية ومتعة. ونحن لا نوافقه على ذلك لأن السمة الأساسية للقصة الشرقية هو التأكيد على الناحية الخلقية والتعليمية. وإذا كانت حكايات ألف ليلة وليلة تبدو فى الظاهر حكايات تسلية ومتعة فإن مظهرها هذا لا يحول دون إتمام مضامينها بالسمة الأساسية للقصة الشرقية.

نذكر فيما يلى تأثير بعض الكتّاب الإنجليز بألف ليلة وليلة:

١ - «رحلات جلفر» (Gulliver's Travels) لجوناثان سويفت (Jonathan Swift) (١٦٦٧ - ١٧٤٥م)، وقد كتبها سنة ١٧٢٦م، وهى متأثرة بقصة السندباد البحرى.

٢ - بعض قصص الكاتب «او. هنرى» (O. Henry) المعروف باسم «جاك لندن»، وعلى الأخص قصته «قائمة الطعام»، التى أخذ فكرتها واستلهم قصتها من كتاب ألف ليلة وليلة. وهي تحاكي قصة «علي شار والجارية زمرّد».

٣ - هناك من يرى أن الكاتب القصصى الذائع الصيت «هـ. ج. ويلز» (H. G. Wells) قد استعار الفكرة التى تقوم عليها قصة «الرجل غير المنظور» (The Invisible Man) من حكاية حسن البصرى فى ألف ليلة وليلة.

٤ – دوّن الكاتب الأمريكى «إدجار ألن پو» (Edgar Allan Poe) (١٨٠٩ – ١٨٤٩م) والذى يعد أحد أبرز كتاب الأقصوصة فى العالم، قصة بعنوان «حكاية شهرزاد الثانية بعد الألف» (The 1002nd Tales of Sherazade). ويظهر من مطالعة قصة «پو» أن شخصياتها اتسمت بسمات شخصيات «پو» القصصية المعروفة. فشهرزاد ودنيا زاد والوزير هم من الشخصيات المثقفة والتي تسعى نحو هدف محتوم تجرها إليه لعنة القدر: شهرزاد مسوقة إلي الإسترسال فى رواية حكاياتها لشهريار دون انقطاع، وشهريار لا يجد مناصا من الإستماع إلى هذه الحكايات مع أنه قد ملّها. ودنيا زاد لا تستطيع إلاّ الجلوس مع أختها تستمع إلى حكاياتها... شخصيات تعيش نهب الضياع والقلق ومتناقضات الذات. إن لعنة القدر لها حكاياتها فى الإبقاء على حياتها كما شفعت لها خلال ألف ليلة وليلة..... ولم يكن حظ شهريار بأحسن من حظ شهرزاد؛ لقد حرم نفسه من أجمل حكاياته التى لم تكن قد روتها له شهرزاد بعد.

إن تعليقات الأدباء والنقاد الإنجليز عن ألف ليلة وليلة يرينا مقدار تغلغل هذا الكتاب العربى فى الحياة الإنجليزية الذي أصبح عَلَماً من أعلامها وقال أحد النقاد في هذا الشأن: « ما أشد فقر الأدب الإنجليزى لو حُرِمَ من ترجمة إدوارد لين لألف ليلة وليلة، ومن ترجمة فيتزجيرالد لرباعيات عمر الخيام.

ويذكر « أى. ام. فورستر » (A.M. Forster) فى تأثير ألف ليلة وليلة فى تكوين تقنية الفن القصصى فى كتابه « مظاهر القصة » ما يلى: « ... لقد علّمت قصص الليالى الأوروبى عنصر السرد والتشويق، ولعل العنصر الأخير أقوى من أى شىء فى ألف ليلة وليلة، فيه استطاعت شهرزاد أن تنقذ حياتها.... إنها العبارة التى تكمن فيها عناصر التشويق هى التى أنقذت حياة شهرزاد. إنها العبارة التى تتردد فى كتاب ألف ليلة وليلة بكثرة: «وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح ».

وقال الروائي الفرنسى الشهير «ستندال » (Stendhal) (١٧٨٣ - ١٨٤٢م) ذات مرة «إنه يتمنى لو يصاب بفقدان الذاكرة حتى يستمتع بقراءة ألف ليلة وليلة من جديد كما استمتع بها أول مرة ».

وآخر ما نذكره من تعليقات ما ذكره الكاتب المسرحى الساخر « جورج برنارد شو » (George Bernard Shaw) (١٨٥٦ - ١٩٥٠م) وقد تأثر بكتاب « الليالي العربية » فقال بأسلوبه الفكه: « هناك ثلاثة كتب أثّرت فى حياتى: الإنجيل وكتاب ألف ليلة وليلة وكتاب ثالث لا يحضرنى إسمه ».

كذلك تؤلف حكايات ألف ليلة وليلة إحدى المصادر الأساسية لأدب الأطفال فى إنجلترا، حيث لم يكن تأثير ألف ليلة وليلة ينحصر فى استجابة ميول الطفل الغريزية والتوجيه الأخلاقى

فحسب، بل تعداهما إلى قصص الأطفال التعليمية أيضا. ولعل أدب الطفل الإنجليزى هو الأدب الأجنبى الفريد الذى استفاد كثيرا من ألف ليلة وليلة؛ ففى الكتاب الأول من سلسلة (New Method Read-ers Supplementary Reader)[1] المسمى «سبع حكايات خرافية مشهورة (Seven Famous Fairy Tales) نجد ثلاثا منها مستوحاة من ألف ليلة وليلة، وهى «رحلات السندباد «(The Journeys of Sindbad)، و «الصيد والعملاق » (The Fisherman and the Ciant)، و«الحصان الطائر» (The Flaying Hourse). كما نجد فى مجموعة تعليمية للناشئة أشهر حكايات ألف ليلة وليلة مصاغة بأسلوب تعليمي بعنوان «حكايات من ألف ليلة وليلة»-(Tales from the Arabian Nights).

---

(١) سلسلة قصصية لتعليم اللغة الإنجليزية للأطفال الإنجليز والأجانب يكتبها ويرسمها «مايكل وست» (Michael West).

الأدب الألمانى وصلته بألف ليلة وليلة

ذاعت قصص ألف ليلة وليلة فى ألمانيا ذيوعا كبيرا، بل تُعَد أول بلد أوروبى عرف «ألف ليلة وليلة». ولم تبدأ علاقة ألف ليلة وليلة بالقصة الألمانية فى القرن الثامن عشر الميلادى بعد ترجمة «جالان» الكتاب إلى الفرنسية، بل انتقل الأثر الشفاهى لألف ليلة وليلة إلى ألمانيا خلال الحروب الصليبية عن طريق الرحّالة والتجّار والجنود ورجال الدين. ويتجلى ذلك فى ملحمة «النيبونجنليد» التى ظهرت فى القرن الثانى عشر الميلادى.

وقد ظهرت ملحمة النيبونجنليد Nibengenlied فى الوقت الذى كان فيه الأوروبيون من محاربين وتجّار ومغامرين ينتقلون بين بلادهم وبين سورية ومصر، حيث ميدان الحروب الصليبية، وأثّرت ألف ليلة وليلة فى كثير من الأعمال القصصية والمسرحية فى كل من إنجلترا وفرنسا - كما سبق أن ذكرنا - خلال الحروب الصليبية، وليس بمستبعد أن ينتقل الأثر إلى ألمانيا التى كان لها نصيب كبير فى الحروب الصليبية. ممثلا فى ملحمة النيبونجنليد التى ظهرت فى جنوب ألمانيا خلال القرن الثانى عشر الميلادى من بعض الأدوات الخارقة والشخصيات التى تعود إلى الحروب الصليبية وتذكرنا ببعض قصص وحكايات ألف ليلة وليلة.

كذلك أسهم الألمان فى ترجمة كتاب «ألف ليلة وليلة» إلى

اللغة الألمانية ونذكر فيما يلي أهم من تحملوا عبء هذا العمل الكبير:

ترجم يوسف ڤون هامر Joseph von Hammer Purgestall المستشرق النمسوى الشهير كتاب «ألف ليلة وليلة» إلى الألمانية، وتعتبر أدق الترجمات إلي اللغات الأوروبية. وقد استخدم نسخة حقيقية من كتاب «ألف ليلة وليلة»؛ ذلك أنه حصل وهو فى القاهرة على مخطوط منها يعرف الآن باسم «نسخة زوتنبرج المصرية»، وطبعها فى شتوتجارت وعنوانها كالآتى:

"Die noch nicht uberseigen Erzahiungen der Tausand und einen Nach".

وطبْعتُهُ هذه تحتوى على حكايات جديدة من «ألف ليلة وليلة» لم تكن موجودة فى ترجمة جالان الفرنسية؛ وجدها ڤون هامر فى القاهرة واستانبول. وأصبحت ترجمته - بطبعاتها العديدة - النص الشائع لألف ليلة وليلة. وقد نقل العلاّمة الإنجليزى «لامپ Lamp» فى سنة ١٨٢٦، كتاب ڤون هامر إلى اللغة الإنجليزية خاصة تلك القصص التى أوردها ولم تكن فى نسخة جالان. كذلك ترجمها إلى الفرنسية «تريبوتيان Trébutien» فى سنة ١٨٢٨م.

وفى سنة ١٨٢٥ أصدر «هابشت Habicht» فى برسلاو كتاب «ألف ليلة وليلة» فى خمسة عشر مجلداً، زاعما أن كتابه ترجمةٌ جديدةٌ لليالى، ولكنه كان فى واقع الأمر عبارة عن كتاب «جالان»

مضافا إليه ملحقات لسابقيه، كما أصدر هابشت فى نفس السنة (١٨٢٥م) النص العربى.

وأيضا ترجم «فلايشر Fleischer» (١٨٠١ - ١٨٨٨) ألف ليلة وليلة إلى الألمانية فى تسع مجلدات، وأتم عمله فى سنة ١٨٤٣.

وهناك ترجمة ألمانية قام بها «اينو ليتمان Enno Littmann» (١٨٧٥ - ١٩٥٨)، وكان أستاذا فى الجامعة المصرية (جامعة القاهرة)عند إنشائها، وفى جامعات ألمانيا والولايات المتحدة، وهى تقع فى ست مجلدات، وأصدرها فى لايبزج فى الفترة ما بين ١٩٢١ و ١٩٢٩؛ الأول فى ٨٣٠ صفحة، والثانى فى ٩١٠ صفحة، والثالث فى ٨٧٤ صفحة، والرابع في ٨٧١ صفحة، والخامس فى ٨١٦ صفحة، والسادس والأخير فى ٨٠٩ صفحة. وكتابه يُعَدّ ترجمة كاملة لطبعة «مكناتن» الإنجليزية. وقد استعان فى ترجمتها بمقارنتها بطبعتى بولاق المصرية وبرسلاو. وفيها أيضا إضافات تشتمل على الحكايات التى زيدت فى طبعة «جالان». وتعتبر الترجمة الألمانية لكتاب «ألف ليلة وليلة» التى قام بها «ليتمان» ترجمة جيّدة، ولا تقل عن ترجمة «لين Lane» وترجمة «باين» إن لم تكن أعظم قيمة منهما.

وأيضا ترجم «سيمون وايل. Weil, S.» (١٨٠٨ - ١٨٨٩) ألف ليلة وليلة إلى الألمانية بين سنتى ١٨٣٧ و ١٨٤١، واعتمد فى ترجمته على نسخة برسلاو وطبعة بولاق ومخطوط عربى حصل عليه من مكتبة «جوتا Gotha» ، وأخرجها فى أربع مجلدات وطبعها

فى جوتنجن سنة ١٨٤١، ثم أخرج طبعة أخرى طبعها فى جوتنجن أيضا سنة ١٨٦٦، وهى منقّحة وتفوق سابقتها بكثير.

ومن بين التراجم المتداولة، تلك الترجمة التى أخرجها العلاّمة «فيليكس بول جريڤيه»، وهى ترجمة غير مباشرة لكتاب ألف ليلة وليلة واعتمد فى إنجاز عمله على ترجمة «بورتُن» الإنجليزية. وقد راجع اينو ليتمان ترجمة جريڤيه، وقابلها بالنصوص العربية، وخاصة نسختى بولاق المصرية وبرسلاو. كما أضاف إليها حكايات متداولة فى أوروبا من ألف ليلة وليلة، تلك التى لم تكن موجودة فى الطبعات العربية أو غيرها، وذكر فى المقدّمة مرجع كل حكاية من هذه الحكايات.

وآخر ما نذكره من ترجمات ألمانية، ترجمةٌ قام بها «ماكس هننج Max Henning» وصدرت فى ٢٤مجلداً صغيراً، وأتمهّا فى أواخر سنة ١٨٩٦، واعتمد فيها على النسخة العربية المصرية المطبوعة ببولاق. وهى ترجمة جيّدة مهذّبة العبارات، ولكنها اختزلت عدد الحكايات إلى النصف، وتشتمل المجلدات السبعة عشر الأولى على كتاب «ألف ليلة وليلة»، والسبعة الأخيرة هى إضافات عديدة ترجم معظمها عن ترجمة «بورتون» الإنجليزية.

كذلك نشر «زوتنبرج» فى سنة ١٨٨٨ نص حكاية «علاء الدين والمصباح السحرى» الذى عثر عليه فى مخطوط بغدادي.

أما الدراسات المتعلّقة بكتاب «ألف ليلة وليلة» فهى كثيرة،

منها ذلك البحث القيم الذى أصدره «كوزيجارتن Kosegarten» (١٧٩٢ - ١٨٥٠)، وعنوانه «مختارات من ألف ليلة وليلة» الذى نشره فى سنة ١٨١٨. وجدير بالذكر أن «كوزيجارتن» كان شاعرا وملمًا بالعربية وصادَقَ جوته، وكان يقرأ له ترجمة الآداب الشرقية.

ولا نغفل عن ذكر الأستاذ «أ. شاده .Schaade, A» (١٨٨٣ - ١٩٥٢) الذى كان يعمل أستاذا فى جامعة هامبورج، وفى الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا)، ثم مديراً لدار الكتب بالقاهرة وله بحث عنوانه «أبو نواس وألف ليلة وليلة»، ونشره فى المجلة الشرقية الألمانية سنة ١٩٣٦.

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى تأثير حكايات «ألف ليلة وليلة» فى الأدب الألمانى نجد أن قصة «هرفيز دى ميتز Hervis de Metz» تلك الملحمة البطولية التى نشأت فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى هى أول ما يصادفنا من حكايات مستوحاه من «ألف ليلة وليلة». وقد ثبت أن هناك تشابها بينها وبين حكايات نور الدين فى ألف ليلة وليلة. ونستعرض هذه القصة فيما يلي:

كان هر ڤيز دى ميتز شاباً يافعاً، وأبوه من عامة الشعب، وأراد أن يجعل من إبنه تاجراً، فبعث به إلى المواسم والأسواق، لكن الفتى أنفق كل أمواله فى الاحتفالات وشراء أدوات الصيد والخيل والسلاح. وفى «لانى» بالقرب من باريس خلّص الأميرة

«بياتركس» بنت ملك صور، التى خطفها بعض الفرسان وأتوا بها إلى فرنسا لبيعها. وتعرّف عليها الفتى هرڤيز دى ميتز وأحبّها آخر الأمر. وما أن عاد إلى مدينة «ميتز» دون أن يحقق أمل والده حتى طرده أبوه من المدينة بأسرها، فهام على وجهه، ولم يجد أحداً يعطف عليه سوى «بياتركس» فجلس عندها وتزوجها، وعاش فى فقر مدقع. ثم تحكى القصة أن هرڤيز رحل إلى صور يحمل تطريزا من شغل بياتركس يمثل أباها وأمها وابنته بياتركس، فاشترى ملك صور هذه التحفة باثنين وثلاثين ألف مارك. وعاد هرفيز ثريا إلى بلده بعد أن رحل عنها فقيرا طريدًا. فلما وصل مدينة ميتز احتَفَل بعودته الجميع. وتتوالى الأحداث بعد ذلك إبتداءً من احتفاء دوق اللورين العجوز بهرڤيز بعد عودته من البلادالمقدسة، وعيّنه فارسا. ثم تبدأ سلسلة طويلة من المغارات عندما يختطف أهل بياتركس ابنتهم، لكن زوجها يستعيدها ويبرز هرڤيز ويشتهر بين الناس بمغامراته العظيمة المدهشة حتى صار دوقا لإقليم اللورين.

وتنتهى القصة برحيل هرڤيز وزوجته بياتركس إلى الأراضى المقدسة لتمضية بقية العمر فى تلك الأرض المباركة ينشدان الراحة والهدوء ويستعيدان ذكرياتهما بما فيها من كفاح وشقاء وسعادة، تاركين وراءهما فى ميتز إبنهما «جاران ذيج» الذى صار فيما بعد بطلا لملحمة بطولية أخرى تَتمِّم ملحمة «هرڤيز دى ميتز».

ننتقل بعد ذلك إلى مجموعة قصصية شعبية، تلك التى جمعها

ونشرها الأخوان «جريم Grimm»، وقد انتشرت انتشارا واسعا جدا ليس بين الناطقين بالألمانية فحسب ، بل في مختلف اللغات الأوروبية حيث ترجمت ولا تزال سائرة حتى يومنا هذا، بل وتعد أروج القصص الشعبي إنتشاراً في العالم وهي «حكايات الأطفال والبيت» ومؤلفهما الأخوين يعقوب (١٧٨٥ - ١٨٦٣) وڤلهلم جريم (١٧٨٦ - ١٨٥٩)، وصدرت الطبعة الأولى من الجزء الأول في سنة ١٨١٥، والجزء الثاني في سنة ١٨٢١. ثم توالت الطبعات في حياة المؤلفَين الأخَوَين حتى الطبعة السابعة التي صدرت في سنة ١٨٥٧. ونمت من طبعة إلى أخرى؛ فبعد أن كان عدد صفحات الجزئين في الطبعة الأولى ١٦١، وصلت في الطبعة السابعة إلى ٢٠١.

واعتمد المؤلفان في كتابة قصص المجموعة على مصادر شفوية، خاصة في الطبعة الأولى، تلك التي استمدّاها من أفواه العامة، أو تلك التي كانت تروى لهما في الطفولة، وحكايات الطبقة الشعبية بسذاجتها ونضارتها الأولية، لكنهما استعانا بعد ذلك إلى مصادر كتابية. وكانت خطتهما في السرد القصصي أنه بعد استيعابهما لمضمون الحكايات، ثم يرويانها بروايات من عندهما. وكانا يعدّلان ويصحّحان في الأسلوب والقصّ من حكاية إلى أخرى، فكانا يحذفان بعضها ، ويضيفان شيئا آخر، ويغيّران في الأسلوب باستمرار. واعترف المؤلفان في التعليقات على هذه الحكايات أنهما استمدّا من كتاب «ألف ليلة وليلة» أصول ثمان منها، وهي:

١ - الصياد وزوجته (الحكاية رقم ١٩)

٢ - الماكر وسيّده (الحكاية رقم ٦٨)

٣ - ستةٌ يذرعون الدنيا (الحكاية رقم ٧١)

٤ - جبل الذهب (الحكاية رقم ٩٢)

٥ - الطيور الثلاثة (الحكاية رقم ٩٦)

٦ - عين الحياة (الحكاية رقم ٩٧)

٧ - الروح المسجونة فى القنينة (الحكاية رقم ٩٩)

٨ - جبل سملى (الحكاية رقم ١٤٢)

والحكاية رقم (٧) تقوم على خارقة خروج المارد من القنينة، بعد أن ظل محبوسا فيها قرون طويلة عقابا له، ثم يقوم بتأدية خدمات جليلة لمنقذه. وهى مستوحاة من حكاية «المارد الذي خرج من القمقم» فى «ألف ليلة وليلة». أما الحكاية الأخيرة وهى رقم (٨) فهى مأخوذة من حكاية «على بابا والأربعين لصا»، وتحكى الحكاية أن شخصا فقيرا سمع اللصوص وهم ينادون «يا جبل سمسى، افتح»، فانفتح جبل ملىء بالكنوز، ثم أغلقوه بقولهم: «يا جبل سمسى، اغلق». وعن هذا الطريق أصبح هذا الشخص غنيا باستخدامه نفس الجملة. وكان يتتبعّه أخ حاسد له، حاقد على ثرائه، وعرف آخر الأمر سر كنز الجبل، وفتحه، لكنه لم يستطع الخروج لأنه نادي «سملي» بدلا من «سمسى» فقتله اللصوص عندما وجدوه داخل المغارة، وألقوه خارجها. وكلمة «سمسى» هى لفظ «سمسم» العربية، والعبارة هى: «افتح يا سمسم» المشهورة

فى حكاية «على بابا والأربعين لصا».

ثم اكتشف بعد ذلك أن عددا كبيرا خلاف ما ذكرنا من حكايات الأخوين جريم يرجع إلى مصادر عربية ، كما قرر بذلك «فرانتس ڤون دير لاين Fr. von der Leyen» فى نشرته الممتازة لهذه الحكايات وقررّ أن اثنتين وعشرين من هذه الحكايات ذوات أصول شرقية. ولما كانت ألف ليلة وليلة لم تكن ترجمت إلى اللغة الألمانية بعد، فإن الذين بحثوا هذه الحكايات ودرسوها دراسة علمية جادة قد مالوا إلى افتراض وجود ترجمة أسبانية قديمة منذ القرن الثالث عشر الميلادى، أو بعده بقليل هى التى أثرت فى منشأ هذه الحكايات التى انتشرت إنتشارا واسعا فى أواسط العامة، وصارت قصصا شعبية ألمانية تتناقلها أفواه الناس، وعن هذا الطريق التقطها من أفواههم الأخوان جريم"Grimm"، وإن كان الألمان يعتبرون هذه الحكايات تراثا ألمانيا خالصا حتى تبينت لهم الحقيقة بعد ذلك، فظهر أن بعضها تأثرت بحكايات ألف ليلة وليلة.

وثالث حكاية صدرت فى العصر الوسيط هى ملحمة «الدوق أرنست» التى لاقت رواجا كبيرا بين أواسط الشعب الألمانى. إن هناك علاقة وثيقة بين قصة «الدوق أرنست» وبين «رحلات السندباد» من ألف ليلة وليلة.ويؤكد الناقد الألمانى الكبير «ڤيكتور شوڤان V. Chauvin » أن كل ما جرى من مغامرات للدوق أرنست وهو فى رحلة خارج بلده مستمدة من حكاية «أمير خوارزم».

ويعد الشاعر الألماني الكبير فريدريش شيلر (١٧٥٩ - ١٨٠٥) من أوائل الشعراء الألمان الذين تأثّروا بموضوعات من القصص العربية خاصة ألف ليلة وليلة.وقد أثبت « أمدروز H. F. Amedroz في بحث له بعنوان « رواية عربية لإحدى قصائد شيلر القصصية » المنشور في مجلة الدراسات الشرقية K. S. O. جزء ٣ سنة ١٩٠٠، في الصفحات من ٥٥٧ إلى ٥٦٩، والجزء السادس سنة ١٩١٣ في الصفحات ٩٩ - ١٠١ وجود أصل عربي للقصة الشعرية "Ballade" التي صاغها شيلر بعنوان « الذهاب إلى مصهر الحداد Der Gang Nach des Eisenhammer » في قصة أحمد اليتيم في ألف ليلة وليلة حيث أن التشابه في الهيكل العام والمغزى واضح بين القصتين، ولا خلاف إلاّ في بعض التفاصيل. وإن كان شيلر استمد مادته القصصية من قصة للكاتب الفرنسي « رستيف دي بريتون Rersif de Bretonne (١٧٣٤ - ١٨٠٦) بعنوان « المعاصرات ».

منذ ظهور الترجمة الألمانية لكتاب « ألف ليلة وليلة » عن ترجمة انطوان جالان الفرنسية في أوائل القرن الثامن عشر ألهبت حكايات ألف ليلة وليلة خيال الكتّاب وشحذت قرائحهم لما تتميّز به من الوصف الرومانتيكي والخيال الذي يحمل في طياته أحوال المجتمع الإسلامي الشرقي بثرائه وعظمته وسحره وغموضه، فتركت حكايات ألف ليلة وليلة تأثيرا عميقا على بعض الأدباء الألمان، نذكر منهم الشاعر الكبير « جوته »، والأديب والناقد الشهير « ڤيلاند »، و « وليم هاوف » الذي نشر عدّة قصص وأساطير على

غرار ألف ليلة وليلة، حتى أصبحت حكايات ألف ليلة وليلة نوع من الموضة الأدبية في عصر التنوير في القرن الثامن عشر. ووصلت رغبة البعض منهم أن أقبلوا على دراسة اللغة العربية ليتمكنوا من قراءة الكتاب في لغته الأصلية كما فعل الكاتب الألماني الشهير «فنكلمان» الذي تعلّم اللغة العربية في ايطاليا ليستطيع قراءتها في اللغة العربية، وإن كان أكثر الأدباء الألمان تأثراً بألف ليلة وليلة هو «جوته» الذي سنفرد له فصلا خاصا.

وقد تأثر الأديب والناقد الألماني الشهير «كريستوف مارى فيلند Wieland» (١٧٣٣ - ١٨١٣) بالآداب الشرقية قبل أن يرتمى فى أحضان الأدب اليونانى، خاصة حكايات ألف ليلة وليلة التى استمد منها مادة دسمة لرواياته الشعبية، مثل الرواية الشعرية «حكاية الشتاء» التى ذكر صراحة أنها «عن حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة»، وهى مأخوذة فعلا عن حكاية «الصياد والعفريت»، أما روايته الشعرية الأخرى «الشاه لولو أو الحق الإلهى لصاحب السلطان: حكاية شرقية»، فهى مأخوذة عن حكاية «دوبان» فى ألف ليلة وليلة، وأيضا قصيدة «عنقاء جبل قاف» فهى مأخوذة أيضا من «ألف ليلة وليلة».

ننتقل بعد ذلك إلى شخصية روائية شهيرة هو الكاتب

الفرنسى الأصل الألمانى المهجر «أولبرت ڤون شامسو»[1]، ومن أشهر مؤلفاته روايته العظيمة «الرجل الذى فقد ظلّه» التى ترجمت إلى كل اللغات الحديثة ومؤداها أن رجلا باع ظلّه (شرفه)للشيطان فى مقابل كيس لا ينفذ من المال وراح نشوانا بهذه الصفقة العظيمة، وظن أن المشترى لابد مجنون مع أنه هو المخدوع، إذ سخر منه الجميع. وحتى المرأة التى أحبته فانه قضى أيامه ولياليه فى عذاب ووحشة، يستهلكه الألم والندم رغم ثروته الهائلة وما لديه من كنز لا ينضب. ويحاول أن يسترد ظله بأي ثمن ولكن محاولاته تخفق واضطر إلى معاناة كل النتائج القاتلة لهذه الغلطة وهذه الرذيلة. رذيلة الغرور والطمع، لكن لحسن حظه يعثر على نعال تقطع سبعة فراسخ فاستعملها ليجوب الدنيا..... ومنذ ذلك الحين عاش بعيدا عن الناس مشغولا بالبحث العلمي مستمتعا بمناظر الطبيعة، ناشدا فيها السلوى والعزاء والطمأنينة.

واهتم شامسو بالشرق وأساطيره وحكاياته شأنه فى ذلك شأن أصحابه الرومانسيين الذين راحوا يبحثون - كما قال «تيك Tieck» - «عن الليلة الخفية التى يضيئها القمر والتى تأسر

(١) هو الشاعر القصصي الجامع بين الروح الفرنسية التى ينحدر منها والروح الألمانية التى اعتنقها، ولد في ٣٠ يناير ١٧٨١ من أسرة فرنسية هاجرت بسبب الثورة الفرنسية من موطنها في مقاطعة المارون بفرنسا إلي بافاريا، وانضم أولبرت إلي الجيش البروسي في سنة ١٧٩٨، ولما سمح نابليون لها بالعودة عادت الأسرة بينما بقى أولبرت فى وطنه الجديد ألمانيا حتى توفى سنة ١٨٣٨.

الحواس، وعن العالم الخرافى الحافل بالعجائب ليبعثوه إلى روائه القديم». ومن بين ما أخذ شامسو عن حكايات ألف ليلة وليلة «عبد الله والدرويش». وقد عرفها عن ترجمة جالان الفرنسية التى ترجمها تحت عنوان «الأعمى بابا عبد الله». وقد صاغها شامسو شعراً مكوناً من مقطوعات رباعية عُدّتها خمس وأربعون (أى ١٨٠ بيتا) ويسرد فيها الحكاية بكل دقّة. وتتفق الحكاية مع النص العربى تماما حتى منتصفها، غير أن القصة العربية وردت على لسان بابا عبد الله نفسه وهو يحكيها لهارون الرشيد، أما عند شامسو فتحكى فى صيغة الغائب.

جوته وألف ليلة وليلة

ننتقل بعد هذا الحشد من الكتاب والقصصين الألمان إلى شخصية ألمانية كبيرة أثرت بما نقلته من كنوز الشرق، ومن بينها حكايات ألف ليلة وليلة، وهى شخصية «جوته» شاعر ألمانيا الكبير فى القرن التاسع عشر.

ولد «يوهان ڤولڤجانج ڤون جوته Johann Wolfgang von Goethe» في عام ١٧٤٩ فى مدينة فرانكفورت الواقعة على نهر «ماين» لأب صارم من أعيان المدينة ومثقفيها، وأراد لولده أن يصبح محاميا مثله وأن يتبوأ مكانة ممتازة فى مدينة فرانكفورت، لذا كان يأخذه بالشدّة فيحبسه فى بيته لكى يدرس اللاتينية واليونانية والعبرية والإنجليزية والفرنسية، بالإضافة إلى درس علوم الفيزياء على يد أبيه ومعلمين خصوصيين حتى بلغ السادسة عشرة من عمره، وتهيأ له مما درسه زاد طيب، فأرسله بعد ذلك إلى مدينة لايبزج ليلتحق بجامعتها ويدرس القانون، لكنه اهتم بالأدب والفنون أكثر مما أهتم بالقانون، فدرس الأدب اليوناني، وانصرف إلى كتابة الأشعار والتمثيليات، واندمج فى حياة الناس بعامة وحياة الطلاب بخاصة، وجرفته الحياة فى تيارها فانغمس فى ملذّاتها يعوض ما فاته منها عنامًا كان تحت عينى أبيه اليقظتين. ثم اضطره المرض إلى العودة إلى بيت أبيه

فى فرانكفورت للعلاج والاستجمام. ومنها سافر إلى مدينة «شتراسبورج» فى عام ١٧٧٠ لينهى فى جامعتها دراسة القانون.

وفى اشتراسبورج إلتقى جوته بالأديب الألمانى الكبير «يوهان جوتفريد هردر J.G. Herder» الذى بيّن له طريق دراسة الأدب، فصرفه عن الأدب المصنوع والشعر المتكلّف، ورغّبه فى الأدب الشعبى، فاهتم جوته بالأشعار الشعبية، فأتيح له أن يصوغ رواية «فاوست» من أسطورة قديمة عرفها الناس فى العصور الوسطى. ورغم حصوله على درجة الدكتوراه فى القانون فى عام ١٧٧١ إلاّ أنه لم يحترف المحاماة كما كان يرسم له والده. بل صمّم على السير في طريق الأدب إلى منتهاه، فاتجه إلى الأدب أخرج للناس أولى مسرحياته «الفارس جوتس فون برليشينجن ذو القبضة الحديدية» فى سنة ١٧٧٣، ثم أعقبها برواية «آلام الفتى ڤرتر» فى سنة ١٧٧٤، فصار إسمه على كل لسان، وهو لايزال فى الخامسة والعشرين من عمره حيث لقيت هذه الرواية من الشهرة حظا عظيما، فترجمت فور صدورها إلى الفرنسية والإنجليزية وكافة اللغات الأوروبية، وذاعت شهرته خارج ألمانيا أيضا. وبعد نجاح روايته «آلام الفتى ڤرتر»، قرّر جوته الإنصراف عن مهنة المحاماة ورَغِب فى الأدب دون سواه، فكان ذلك سُلّما لشهرته وسبب خلوده.

ويعود اهتمام جوته بالشرق؛ أدبه وحكمته وفنونه، إلى عهد الشباب ولعلّها تصل إلى عهد الطفولة، فقد درس الكتاب المقدس

في ترجمة « لوثر » الرائعة وهو صغير، وأدخله في هيكل الشرق المقدس، لكنه لم يقنع بقراءته في هذه الترجمة، على الرغم من جمالها، وأراد قراءته في نصّه الأصلي حتى يستطيع أن يتذوق جماله تذوقا كاملا. فدرس اللغة العبرية على يد الأستاذ « ألبرشت » بين سنتي ١٧٦٢ و ١٧٦٥، وترجم من التوراة كتاب « نشيد الأناشيد ».

ثم عكف بعد ذلك على دراسة القرآن العظيم، فقرأه في ترجمة « مجرلين » في سنة ١٧٨١. وفي السنة التالية قرأه مرة ثانية في ترجمته الألمانية التي قام بها « ماراتشي »، وأعجب بها كل الإعجاب، ويقول في ذلك: « إن القارئ الأجنبي قد يملّه لأوّل وهلة، لكنه لا يلبث أن ينجذب إليه حتى يسلِّم في النهاية بروعته وعظمته ». وترجم معاني بضع آيات كريمة من القرآن المجيد. ومن هنا بدأت عنايته بالأدب العربي، فقرأ المعلقات في ترجمة « وليم جونز » اللاتينية، وترجم قطعة من المعلقة الأولى إلى الألمانية.

وبعد أن عاد من رحلةٍ له إلى ايطاليا في سنة ١٧٩١، أشار عليه صديقه « هردر » العناية بالآداب الهندية والفارسية. ومنذ ذلك الحين لا يكاد يخرج إلى اللغات الأوروبية كتاب في أحد هذين الأدبين أو أثر من آثارهما إلاّ إلتهمه جوته إلتهاما.

وظل جوته معجبا بالشرق وآثاره حتى سنة ١٨١٤، إعجابا سلبيا كإعجاب الناظر المتفرّج، يحدوه حب الاستطلاع إلى الوقوف

على مخلف الأشياء وطلب الغذاء الروحى من شتى الموائد. ويؤكد ذلك ما قاله في «فاوست» «لتتجه النظرة الصائبة نحو الشرق»، فإنه لم يقصد بهذا الشرق بلاد الشرق وإنما قصد به مطلع الشمس.

واتخذ جوته صبغة جديدة نحو الشرق، ففى سنة ١٨١٤ وما تلاها من سنوات اتجه اتجاها خاصا، فلم يعد إعجابه هذا الإعجاب السلبى الخالص وتلك المتعة الوديعة الهادئة، وإنما انقلبت إلى امتزاج قوي بين روح وروح وبين دم ودم؛ فروح الشرق نفذت إلى أعماقه واتحدت بكل عنصر من عناصره وكل جزيئ فى جَسده، فتفاعلت تفاعلا قويا تمخّض عنه أثره الفنى الرائع «الديوان الغربى الشرقي».

وفى عام ١٨١٦ توفيت زوجته وشريكة حياته «كريستيان فلبيوس» فجزع جوته لفقدها جزعا شديدا، ورثاها بالدموع الغزيرة. ولقد سارت حياته بعدها سيرا بطيئا خالية من السعادة وبعيدة كل البعد عن الهناء. وفى عام ١٨٣٢ أسلم جوته نفسه للموت بعد أن عاش ثلاثا وثمانين سنة. سطر خلالها ذكراه فى عالم العظماء وسجل الخالدين كأديب موهوب.

ويروى جوته في مذكراته بعنوان «شعر وحقيقة» ما يلى:

«كانت والدتى تقص علىّ أساطير وحكايات مشهورة، وكانت تعلّمنى الأمثال والحكم المأثورة، وأقوم بعد ذلك بنفسى بحبْك أساطير جديدة على غرارها، وكنتُ أشعر بالسعادة عندما كانت

أمىّ تقص علىّ هذه القـــصص والأســـاطيـــر، وتروى لى هذه الحكايات»[1]. ثم يروى بعد ذلك قائلا: «لقد أضفْتُ علىّ أمىّ جواً من السعادة عندما كانت تطلب منّى أن أروى للأطفال بعض الأساطير. وكانت الأسطورة الخيالية الخالية من الأحداث والإنفعالات والمفاجآت تتميَّز رغم ذلك بالجاذبية والشوق رغم فقر مضمونها. ومن خلال ابتكار وحبْك هذه الصُّور والتخيّلات التى كانت تكلفّنى جهدا كبيرا أصبح الأطفال يحبّوننى، وأصبحت بدَوْرى مرْموقا فى نظر الكبار أيضا»[2].

ولم تخل رسائله إلى أصدقائه ورفيقاته من ذكر الشرق وسحره وخاصة «ألف ليلة وليلة» التى انبهر بها أيمّا إنبهار. ونستشف ذلك من رسالة بعث بها إلى صديقته «فريدريكه بريون» فى ١٥ أكتوبر ١٧٧٠ يقول فيها: «إن قلقى الذى يشغل بالى يعزى إلىّ أنى بعيد عنك، وينبغي أن أكون بالقرب من شتراسبورج، كما أريد أن أسطر على الورق أسطورة خيالية تعزّينى فى وحدتى، وقد خالجنى شوق أن أصبح كالحصان المجنح لأطير به إليك لأعزيك فى وحدتك، ولكنى لا أريد أن أعكّر صفوكِ إذا كان بُعْدك عن أصدقائك يُسلّيك...... [3]. ونشير فى هذا المقام أن ذكر الحصان المجنح مصدره قصة وردت فى ترجمة جالان لألف

---

(١) جوته : مؤلفات جوته، الجزء الثالث، ص٥٥

(٢) المرجع السابق، ص ٥٦.

(٣) حياة جوته الوثائقية، ص ٢٤٣.

ليلة وليلة تحت عنوان «الجواد الساحر» الهندية التى يطير فيها الحصان من مدينة إلى أخرى بسرعة فائقة.

ونستطيع أيضا أن نلمس تأثيراً مباشراً بأجواء ألف ليلة وليلة الساحرة وألوانها الخلاّبة فى «الديوان الشرقى للمؤلف الغربى» كما سماه بالعربية أو «الديوان الغربى الشرقى» كما هو ترجمته الألمانية الذى نظمه جوته تحت تأثير الشرق بعامة والشاعر الإيرانى الكبير حافظ الشيرازى بخاصة. إن جوته يعرض أمامنا صورا ليست غريبة عن أجواء «ألف ليلة وليلة» فى «كتاب المُغَنِّى» و «كتاب العشق» و «كتاب الساقى» من الديوان.

ونستعرض فيما يلى الأعمال الأدبية التى أخرجها جوته - والتى أمكن استخراجها - وتعكس تأثير ألف ليلة وليلة عليه، نبدأها بروايته الخالدة «فاوست» التى تعد أكبر الروايات التمثيلية للحياة الإنسانية والإضطهاد البشرى ضد اكتساب عزّة النفس الإنسانية، فإن الجزء الثانى منها والذى كتبه شعرا ووصل فيه إلى قمة الإبداع فى تصوير الحب والمثل العليا والتحية فى شخصية «فاوست» و«كريتشن». لقد تأثر جوته بحكاية «الأمير حبيب والأميرة درة الكوّاز» من قصص ألف ليلة وليلة، ونسج على غرارها بعض أحداث الجزء الثانى من «فاوست». وتحكى قصة ألف ليلة وليلة أن الأمير حبيب كان صبيّا حادّ الذكاء، تولّى تعليمه معلم «فقيه»، وعندما بلغ السابعة من عمره كان يتقن اللغة والفقه الإسلامى إتقانا تاما.... ودرس الأمير حبيب فيما بعد التاريخ،

وتعلّم فن الشعر وأصوله. وفى أحد الأيام اضطر المعلّم إلى السفر، فودّع تلميذه الصغير حبيب الذى بكى على فراقه. وجاء بعد يوم معلم آخر لا يقل اطلاعا ومعرفة عن المعلم الأول.. وبعد فترة قصيرة، غادر هذا المعلم الثانى تلميذه حبيب قائلا له: إنك يا حبيب ستجتاز مخاطر كثيرة، وتمر بك مصاعب جسيمة، ستهزك من الأعماق وسيكون ثمن تضحيتك وصبرك على هذه المصاعب هو زواجك من الأميرة «درة الكوّاز» حاكمة إحدى المقاطعات بالعراق.

ونشر جوته رواية «وليم مايستر» التى تقع فى ثلاثة أجزاء. وهى تصوّر نضال الطبقة البرجوازية فى سبيل تأسيس مسرح وطني فى ألمانيا، غير أن اليأس يستولى على البطل وليم مايستر فيترك ألمانيا ويهاجرإلى أمريكا أثناء حرب الإستقلال للإنضمام إلى صفوف المحاربين هناك. ولعل الجزء الثانى من الرواية وعنوانه «تجوال وليم مايستر» يتفق كل الإتفاق مع فحوى حكاية «على الجوهرى» إحدى حكايات ألف ليلة وليلة.

إن سيرةوليم مايستر تشابه سيرة على الجوهرى فى بعض الجوانب فهو أيضا جوّال ومكافح وداعية للإصلاح ومغامر يجوب الأصقاع دون خوف أو وجل، ويسعى إلى تحقيق طموحاته فيخفق فى كثير من الأحيان، ويحالفه النجاح فى بعض منها، فيخرج فى النهاية منتصراً على الفشل والإخفاق.

كذلك أخرج جوته مسرحية «مزاج العاشق». وتُصوّر هذه

المسرحية الغيرة فى شخص جوته فى صديقته « أنيتاشونكوبف » إبنةصاحب الفندق الذى كان ينزل فيه أثناء الدراسة فى مدينة لايبزج سنة ١٧٦٥. وقد تاثر جوته بقصة «أمينة» من قصص ألف ليلة وليلة، وأطلق على بطلة مسرحيته إسم «أمينة» أيضا.

وشخصية أمينة فى ألف ليلة وليلة على النحو التالى: أرملة صغيرة السن ثرية، على جانب كبير من الجمال، أحبت رجلاً كان يبدى إعجابه بها من خلال النظرات والإيماءات. وسرعان ما تزوجته أمينة، ولكنها اضطرت أن تعيش معه فى ظروف التقاليد القاسية، فقد كان محرّما عليها أن تكشف وجهها أمام شخص غريب، أو تكلّم أحدا غير زوجها..... وبعد شهر من زواجها احتاجت أن تخيط ثوبا جديدا لها فخرجت إلى السوق لشراء القماش بعد أن سمح لها زوجهابذلك، شريطة أن ترافقها الخادمة فى تجوالها. ودخلت أمينة دكانا كان يملكه شاب صغير، وسيم الوجه وكان الكلام يجرى مع الخادمة لأنه كان محرمًا على سيدتها أمينة أن تكلّم شخصا غريبا.......... واختارت أمينة قماشا أعجبها، غير أن غلاء السعر أحدث بعض الصعوبة فى شرائه، فقد فرض البائع هذا السعر الغالي لكى يساوم مع أمينة........ ،قَبِل البائع تخفيض السعر لقاء قبلةٍ من وجنة أمينة......... ، وقَبِلَت أمينة أن تمنح البائع قبلة لقاء تخفيض السعر...... والتفّتْ في عباءتها، وقدّمت خدّها للقبلة غير أن البائع بدلا من أن يقبّلها ضغط بأسنانه على خدّها فانحبس فيه الدم.

وقد حاولت أمينة بعد ذلك عبثاً إخفاء أثر العضّة وإبعاد الشك. وعند عودتها إلى البيت جعلت الغيرة تنهش في صدر الزوج، فأمر عبده بقطع رأسها، إلاّ أن توسلات النسوة والجيران حالت دون تنفيذ الأمر.... ولكن الزوج أراد أن تبقى ذاكرة أمينة معلّقة دائماً بالخيانة، فأمر عبده بجلدها بالسوط حتى ترك آثارا واضحة فى جسمها.

وكان جوته يغار آنذاك على صديقته «أنيتا شونكويف» فى لايبزج وعندما كانت «أنيتا» تذهب إلى المسرح، كان جوته يتقلّب فى فراشه ويقول: «يا إلهى .... مع من تجلس الآن فى المسرح؟!!». وأحيانا كان يتنكر فى زى آخر ويذهب خلفها ويراقبها أثناء ذهابها إلى مسرح لايبزج.

وفى عام ١٨٠٩ نشر جوته رواية «قرابة العجوز». وقد نشأت هذه القصة من حبّه لفتاة إسمها «ميناهرسليب»، وهى إبنة رجل صاحب مطبعة يُدْعى «فرومان»؛ فقد كانت طفلة، ولكنه أحبها عندما كبرت أمامه رغم أنه بلغ السبعين من عمره. وقد اضطر والد الفتاة إلى إرسالها إلي المدرسةلكي يحول دون زواجها من جوته الشيخ. وقد استقي جوته موضوع الرواية من حكاية «أبو الحسن وشمس النهار»، إحدى حكايات ألف ليلة وليلة؛ ففى هذه الحكاية نجد أبا الحسن يضحى في سبيل محبوبته «شمس النهار» منذ أن كان صغيرا، غير أنهما افترقا بعد سنوات حتى بلغ أبو الحسن سنّ الشباب، وأخيرا استطاع الحبيبان أن يلتقيا فى مكان ما فى بغداد

ويقررا الزواج.

لقد تأثر جوته بتضحية أبى الحسن فى سبيل محبوبته «شمس النهار» وأبو الحسن فى قصة جوته «قرابة العجوز» هو «إدوارد»، أما شمس النهار فهى «مينا هرسليب» التى أحبّها جوته نفسه.

وأيضا تأثر جوته بحكاية «البساط السحرى» إحدى قصص ألف ليلة وليلة فنسج على غرارها مسرحية «الإبنة الطبيعية» عام ١٨٠٢، وافتتح بها مسرح «لاوخشنت» فى «ڤايمار».

وفى الشعر نظم جوته قصيدة «حفار الكنز» متأثرا بحكاية «على بابا والأربعين لصا»، يقول فيها:

مُعْدَماً أقضى أيامى الطويلة
أتجرع فى الفقر ضيق أيامى
وأحلم فى الثراء بأيام آمالى
ولمّا أعيانى الألم........
ذهبت للبحث عن الكنز المفقود
ممنيًا نفسى بالرخاء
حاملا مشاعل السرور
وكيساً مملوءاً بعظام الأشباح
وعشباً تفوح منه رائحة زكية
وبأسلوب المعلم الفهيم

بحثتُ عن كنزى القديم

وكان الليل حالك الظلام

فرأيت بصيص نورٍ بعيد

وإذا بنجمة تقترب

من بين الظلمة الحالكة

فدقّت الساعة معلنة

نهاية الليلة الزائلة

وفجأةً، وقبل أن يحين الأوان

ملأ الضوء جو المكان

منبعثا من بريق يومض بعمر الزمان

يحمله صبى له جمال الحسان

فرأيت بريق العيون الجميلة

من بين أكاليل الزهور الكبيرة

أشرب من تجارب الحياة النقية

وأتقدم نحوها بخطى شجاعة

فقد بهرنى السناء

وأسقانى من الكوز شراباً صافيا

ليزول عنى كل عناء ويبدد فى نفسى شعور الجفاء

فارتوِ يا صاح بماء الشجاعة كى تدرك معنى القناعة

وتزوّدْ بالمعرفة، ولا تَعُدْ بروح خائفة

لهذا المكان بثروته الزائلة، ولا تحضر هنا ثانية بروح بائسة

اعملْ فى النهار ، واستضيف فى المساء

فمضت أسابيع الجفاء ، وأتت أعياد الرخاء

كذلك كتب جوته قصصا للأطفال متأثرا بحكايات ألف ليلة وليلة، والتي تؤلفّ إحدى مصادر أدب الأطفال في ألمانيا. وكان جوته يروي للأطفال في مدينة فرانكفورت أساطير وحكايات ألف ليلة وليلة، فمثلا كان يسرد مثل هذه الحكايات لأطفال عائلة «دي أورفيل» التي تتصل بقرابة لعائلة صديقته «ليلي شونمان»، كما كتب شعرا يقول فيه:

«اذهب إيهـــا المُغَنِّي العـــزيز إلى حـــضن ليلي،
وقـــــــبِّلهـــــــا بدلاً عني
أدعوك يا شيخ ظاهر أن تذهب إليها وتُقَبِّلها من يدها،
ولا تَدَعْهـــــــــــــــــا تَهْدأ»(١).

(١) كاترينه مومسن: جوته وألف ليلة وليلة، أكاديمية فرلاك، برلين سنة ١٩٧٠، ص ٧٩. وعنوانه بالألمانية كالآتي:

Katharina Momsen; Goethe und 1001 Nacht, Akademie Verlag, Berlin, 1970, P 79.

فهرس الموضوعات

الصفحة

رقم الإيداع

٩٤/٤٢٧٤

I.S.B.N.

977 - 00 - 8928 - 1

